مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (3)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (3) 2018

الإعرابُ بينَ اللغةِ العربيّةِ واللغاتِ الساميةِ

د. سامي عوض*
أحمد شريقي**

(تاريخ الإيداع 30 / 4 / 2018. قبل للنشر في 6 / 6 / 2018)

□ ملخّص □

يَتَنَاوَلُ هَذَا البَحْثُ الصِّلةَ بَينَ اللُّغَاتِ السَّامية واللُّغةِ العربيّةِ، حيثُ بيَّنَ قِدَمَ العَرَبيَّةِ، وَوَضَّحَ مَفْهومَ اللُّغَاتِ السَّامِيةِ، وَذَكَرَ أَهَمَّ الآرَاءِ فِي مَوطِنِها الأَصلِيِّ والخَصَائِصَ المُشتَرَكَةَ بينَها. ثُمَّ عَرَضَ البَحْثُ الفَهْمَ التَّارِيخِيَّ لِعَلَاقَةِ العَرَبيَّةِ بالسَّامِيةِ،مُثْبِتاً التَّفَاعُلَ الّذي ظَهَرَ فِي العَصرِ الجَاهِلِيِّ مِنْ خِلَالِ التَّفَاعُلِ مَعَ الكِتَابِ المُقدَّسِ،الّذي تُرْجِمَ إِلَى العَرَبِيَّةِ، فَسَواءٌ أَكَانَ العَربُ هُم المُترجِمِينَ أَمْ كَانوا أَهْلَ هَذِهِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ؛ فَالنَّتِيجَةُ تُثْبِتُ مَبدَأَ التَّفَاعُلِ بَيْنَ اللُّغَاتِ الّتِي كُتِبَتْ بِها هَذهِ الكُتُبِ واللُّغةِ العَربيَّةِ، مَعَ استِمرَارِ هَذَا التَّفَاعُلِ بِوضُوحٍ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ خِلَالِ أَشْكَالٍ وصُورٍ مُتعدِّدَةٍ. ثُمَّ يُنَاقِشُ البَحْثُ ظَاهِرةَ الإعْرَابِ لِيَصِلَ البحثُ إِلَى قِدَمِ ظَاهِرةِ الإعْرَابِ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيةِ عُمُومَاً، والعربيَّةِ خَاصَّةً، مِنْ خِلَالِ عَرْضٍ لأَهمِّ مَا يُثْبِتُ أصالةَ الإعْرَابِ فِي هَذِهِ اللُّغَاتِ، وَإِنْ كَانَتِ العَرَبيَّةُ الأَكْثَرَ حِفَاظَاً عَلَيهِ. ثُمَّ انتَهى البَحْثُ بالنَّتَائِجِ والتَّوصِياتِ.

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّةُ: اللُّغة السّامية – الإعْرَاب– العَلَاقَة – التَّأْثِير.

* أستاذ – قسم اللغة العربيّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة – جامعة تشرين – اللاذقيَّة – سورية .
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربيَّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة – جامعة تشرين – اللاذقيَّة – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (3)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (3) 2018

Expression between Arabic and Semitic languages

Dr. Sami Awad*
Ahmed Shreiki**

(Received 30 / 4 / 2018. Accepted 6 / 6 / 2018)

□ ABSTRACT □

This paper deals with the link between Semitic and Arabic languages,that it showed the ancientness of the Arabic , and explained the concept of Semitic languages, and mentioned the most important views in their home country and their common characteristics. The research then presented the historical understanding of the Arab-Semitic relationship, confirming the interaction that emerged in the pre-Islamic era through interaction with the Bible, which was translated into Arabic

Whether the Arabs are translators or were the people of these heavenly books; the result proves the principle of interaction between languages that these books were written with and the Arabic language, with the continuation of this interaction clearly in the era of the Prophet and his companions through various forms and ways .

The research then discusses the phenomenon of expression, then the ancientness of the phenomenon of expression in Semitic languages in general, and Arabic in particular, through the presentation of the most important proof of authenticity in these languages, Although the Arabic is the most conservative.

The research ended with conclusions and recommendations.

Keywords: Semitic language - Expression- Relationship - Effect.

***Professor; Department Of Arabic Language, faculty Of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****Postgraduate Student, Deparment-of Arabic – Faculty Of Art & Humanities – Tishreen University – Lattakia – Syria .**

مقدّمة:

مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ لغةُ بيانٍ وإفْصَاحٍ، وأَهمَّ السُّبُلِ إِلَى ذَلِكَ الإعْرَابُ، وَبِهِ يُفْصَحُ عَنْ غَايَاتِ الكَلَامِ، وَيُوقَفُ عَلَى أَغْرَاضِ المُتَكَلِّمِينَ. وقدْ امتَدَّتْ جُذُورُ هَذِهِ الظَّاهِرةِ الضَّاربةِ فِي القِدَمِ؛ لِترتَبِطَ باللُّغاتِ السّامِيةِ.

فَالإعرَابُ مِنْ أَقْدَمِ السِّمَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيةِ، وَمِنْهَا العربيَّةُ، وأَنَّ معظمَ اللغاتِ الساميةِ قد فقدَتِ الإعرابَ باستثناءِ بقايا منها ترجعُ إلى مرحلةٍ لغويَّةٍ سابقةٍ، فهناكَ دَلَائِلُ عَلَى أَنَّ الإعْرَابَ الكَامِلَ الّذي احتَفَظَتْ بِهِ العَرَبِيَّةُ هُو امتدادٌ لِنِظَامٍ إعْرَابِيٍّ كَانَ مَوجُوداً فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ السَّامِيةِ التي تفرَّعَت عنِ اللغةِ الأمِّ كالأكاديةِ، فالعربيَّةُ هي اللغةُ الوحيدةُ التي بقيت حيَّةً.

أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ وَأَهْدَافُهُ:

اهْتِمَامُ النَّحْوِيِّينَ مُنذُ نَشأةِ الدرْسِ النحْوِيِّ بِالإعْرَابِ ظَاهِرٌ وَاضِحٌ، وَثَبَتَ مِنَ المُقَارَنَاتِ أَنَّ النِّظَامَ الإعْرَابِيَّ لِبَعْضِ اللُّغَاتِ السَّامِيةِ قَدْ خَصَّ الضَّمَّةَ بِالإسْنَادِ، والفَتْحَةَ بِالمَفعُولِيَّةِ، والكَسْرةَ بِالإضَافَةِ، وَهَذَا مَا أَدْرَكَهُ النَّحْوِيُّونَ العربُ فِي لُغَتِهم، فَقَالُوا إِنَّ الرَّفْعَ عَلَمُ الإسْنَادِ، والنَّصْبَ عَلَمُ المَفْعُولِيَّةِ، وَالجَرَّ عَلَمُ الإضَافَةِ. فَأَيَّةُ دِرَاسَةٍ لِلمُقَارَنَةِ لَابُدَّ أَنْ تَبْدَأَ حَقّاً مِنَ العَرَبِيَّةِ؛ وَلِأَهمّيَّةِ ذَلِكَ قَامَ هَذَا البَحْثُ عَلَى بَيَانِ الأصلِ السّاميِّ لِلإعرَابِ، الّذِي يُثْبِتُ بِذَلِكَ قِدَمَ العَرَبِيَّةِ وخُلُودَها، وَأَنَّ الإعْرَابَ سِمَةٌ أَصْلِيّةٌ مِنْ خَصَائِصِ العَربيَّةِ، ومِنْ خَصَائِصِ مُعْظَمِ اللُّغَاتِ السَّامِية، فَالمُوازَنَةُ بَيْنَها، وَبَيْنَ اللُّغَاتِ الساميَةِ الأُخْرَى هِي السَّبيلُ لِمُعَالَجَتِها فِي العَربيَّةِ.

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ:

يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ البَحْثَ قَدْ تَطَلَّبَ إِنْجَازُهُا لاسْتِفَادَةَ مِنَ المَنَاهِجِ المُختَلِفَةِ، فَهو يَسْتَفِيدُ مِنَ المَنْهَجِ التَّاريخِيِّ فِي دِرَاسَةِ اللُّغَاتِ السّامِيةِ، مِنْ حَيثُ المَفهومُ والمَوطِنُ، وَقَد اعْتَمَدعَلَى المَنْهجِ المُقَارِنِ فَي بَيانِ تَأَثُّرِ ظَاهِرةِ الإعْرَابِ فِي العَرَبيَّةِ بِأَخَواتِها السَّامياتِ،وَكَذَلِكَ استَفَادَ مِنَ المَنْهَجِ الوَصْفِيِّ فِي تَحْلِيلِ الكَثيرِ مِنْ جَوانِبِ الإعْرَابِ وَوَصْفِها.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: الصّلةُ بينَ اللُّغَاتِ السَّاميةِ واللُّغةِ العَرَبيَّةِ:

تَعْرِيفٌ باللُّغَاتِ السَّاميةِ:

اللُّغَةُ ظَاهِرةٌ بَشريّةٌ امْتَازَ بِهَا الإِنْسَانُ عَنْ غَيرِهِ مِنَ المَخلُوقَاتِ الأُخْرَى،وَهِي وَسِيلَةٌ لِلتَّفَاهُمِ، كَمَا تُوثِّقُ العَلَاقَاتِ بَيْنَ الأَفرَادِ، وَتُقَرِّبُ بَينَ المَفَاهِيمِ وَأَنْمَاطِ التَّفْكِيرِ.

وَإِنَّ لُغَتَنَا العَرَبِيَّةَ هِي لُغَةُ الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ، ذَاتُ تَارِيخٍ مُشرِّفٍ،فَلَمْ يَشْهَدِ التَّارِيخُ أُمَّةً تَفَاضَلَتْ بِالبَيَانِ وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ كَأُمَّةِ العَرَبِ، فَلَمْ تَعْرِفْ شَيخُوخَةً أَو زَوَالاً، بَلْ بَقِيَتْ فَتِيَّةً عَلَى الدَّوامِعَلَى الرّغْمِ مِمَّا اعْتَرَاهَا مِنْ هَجَمَاتٍ أَرَادَتْ إِضْعَافَهَا، لَكِنَّهَا ظَلَّتْ عَصِيَّةً قَوِيّةً تَتَحدَّى كَلَّالعَوامِلِ؛ لامْتِلَاكِها عَوامِلَ القُوَّةِ؛ فَهِيَ لُغَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ المُعْجِزِ بَلَاغَةًوفَصَاحَةً وَأُسْلُوبَاً، فَظَلَّتْ حَيَّةً مُتَجدِّدَةً مُتَأَقْلِمَةً مَعَ مُتطلبَاتِ العَصرِ.

وَلَقَد أَرْجَعَ ابنُ سَلّامٍ فِي طَبَقَاتِهِ تَارِيخَها إِلَى النَّبِيِّ إِسْمَاعِيلَ عَليهِ السَّلَامُ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تكلَّمَ بالعربيّةِ، وَنَسِي لِسَانَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ[1]، وَأَوَّلُ مَنْ فَتَقَ لِسَانَهُ بِالعَرَبِيَّةِ المُبِينةِ، وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً، وَاللهُ أَلْهَمَهُ العَرَبِيَّةَ إِلْهَاماً[2]. وَيَذْكُرُ

([1]) ابنسلام،محمّد،طبقاتفحولالشعراء،تحـ : محمودمحمّدشاكر،ج1،دارالمدنيّ،جدّة،ص9.

([2]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتّبيين، ج3، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، 1424هـ – 2003 م، ص183.

الدّكتورُ عَبْدُ الغَفَّارِ حَامِد هِلَال أَنَّ العَرَبيّةَ كَانَتْ لِسَانَ إبراهيمَ عَلَيهِ السَّلَامُ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ العَرَبِيّةَ مُتَأَصِّلةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ، فَهُمَا مِنْ أَوَّلِ المُتَكَلِّمِينَ بِها [3]. وقَدْ اسْتَدَلَّ الأبُ أنستاس ماري الكرملي عَلَى قِدمِ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ بِسفْرِ أيُّوبَ، فَقَالَ:« فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ العُلَمَاءِ يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ صَاحِبَه وَضعَهُ بِلُغَتِهِ العَرَبيَّةِ، إِذْ فِيهِ عِبَارَاتٌ، وتَشْبِيهَاتٌ، وَمَجازَاتٌ، وَاستِعَاراتٌ، لَا تُعرَفُ إِلَّا فِي العَرَبيَّة. فَلَا شَكَّ أَنَّهُ نُقِلَ مِنَ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ إِلَى العِبْرِيَّةِ، وَبَقِيَتْ فِي النَّقْلِ أُصولُ اللغةِ، ومَبانِيهَا، وَصِيغُها عَلَى أَصْلِهَا أَو يَكَادُ»[4].

وَمَع كُلِّ هَذِهِ الإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَّةِ لِبِدَايةِ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ، يَبْقَى تَارِيخُها قَبْلَ الإِسْلَامِ مِنَ الأُمُورِ غَيرِ اليَقِينيَّةِ؛ وَحَاوَلَ الدَّارسُونَ إِرْجَاعَ ذَلِكَ إِلَى عِدَّةِ أُمُورٍ، هِي[5]:

أ – قِلَّةُ الآثَارِ المَوجُودَةِ لِتِلْكَ اللُّغةِ قَبْلَ الإِسْلَامِ، الَّتِي لَا تُغنِي ولَا تُشْبِعُ نَهَمَ البَاحِثِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُؤَرِّخَ لِحَيَاةِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ، ويَتَتَبَّعَ تَطوّرَهَا تَتَبُّعاً تَارِيخِيّاً.

ب– أَنَّ اللُّغَةَ العَرَبيَّةَ تَجْمَعُ بَينَ ظَواهِرَ لُغَوِيَّةٍ، تَدُلُّ عَلَى قِدمِ تِلكَ اللُّغةِ، وظَواهِرَ أُخْرَى كَامِلَةِ النُّضْجِ،تَدُلُّ عَلَى حَدَاثَةِ تَكَوُّنِ تِلْكَ اللُّغةِ وَنَشْأَتِها، كَمَا تَجْمَعُ بَينَ ظَواهِرَ لُغَوِيَّةٍ نَابعَةٍ مِنْ بِيئَةٍ بَدَوِيَّةٍ غَيرِ مُتَحَضِّرَةٍ، وَأُخْرَى مِنْ بِيئَةٍ مُستَقِرَّةٍ مُتَحضِّرَةٍ.

ج– أنَّ اللَّهجَاتِ العَرَبيَّةَ المَروِيَّةَ فِي الكُتَبِ العَرَبيَّةِ لَا تُوجَدُ آثَارُهَا وَاضِحَةً جَلِيَّةً فِي الشّعْرِ الجَاهِلِيِّ.

فَالحَدِيثُ عَنْ مَرَاحِلِ تَطَوّرِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ قَبْلَ الإِسلَامِ –كمَا يَرى الدّكتورُ مُحمَّد حماسة– ضَرْبٌ مِنَ التَّخْمِينِ والحَدسِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ حَدَّ اليقِينِ، غَيرَ أَنَّ انْتِمَاءَ اللغةِ العَرَبيَّةِ لِلأُرومَةِ السّامِيةِ يَسوغُ البَحْثَ عَنْ ظَواهِرِهَا اللُّغويَّةِ وامْتِدَادِهَا فِي أَخَواتِها السّاميّاتِ[6].

واللُّغَةُ هِي وَسِيلَةُ التّواصُلِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ الاستِغْنَاءُ عَنْهُ. ولَا شَكَّ أَنَّ اللُّغَاتِ قَدْ تَطَوَّرَتْ عَبْرَ الزَّمَنِ مَعَ تَطوُّرِ البَشَرِ وانْفِصَالِهم إِلَى جَمَاعَاتٍ، تَرْتَبِطُ أَفْرَادُهَا بِسِمَاتٍ مُشتَرَكةٍ؛ فَأَصبَحَ لِكُلِّ شَعْبٍ أَو جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ لُغَتُها الخَاصَّةُ بِها، مَعَ العلمِ أَنَّ اللُّغَاتِ المُختَلِفَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ. «وَالوَاقِعُ أَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَنَا كِتْلَةٌ مِنَ الأُمَمِ تَرتَبِطُ لُغَاتُهَا بَعْضهَا بِبعْضٍ كَالارْتِبَاطِ الَّذي كَانَ بَيْنَ اللُّغَاتِ السّامية» [7]. «وُتُطْلَقُ كَلِمَةُ لُغَاتٍ سَامِيةٍ عَلَى جُمْلَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً مُنْذُ أَزْمَانٍ بَعِيدَةٍ فِي بلَادِ آسيا وأفريقيا، سَواءٌ مِنْهَا مَا عَفَتْ آثَارُه، ومَا لَا يَزَالُ بَاقِياً إِلَى الآن»[8]. وَهَي تَسْمَيةٌ حَديثَةُ العَهدِ نِسبِيًّا، وأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ هَذَا الاسْمَ هو العَالِمُ الألْمَانِيُّشلوتسر (Schlozer)، «عِنْدَمَا كَانَ يَبْحَثُ فِي نِهَايةِ القَرنِ الثَّامنَ عَشَرَ عَنْ تَسْمِيةٍ مُشْتَرَكَةٍ للعبريِّينَ والعربِ والأَحْبَاشَ »[9]، «والتَّسْمِيَةُ لَمْ تُخْتَرَعْ اخْتِرَاعاً، فَهِي مُقْتَبَسَةٌ مِنَ الكِتَابِ المُقدَّسِ الَّذِي وَرَدَ فِيْهِ أَنَّ أَبْنَاءَ نُوْحٍ هُم: سام وحام ويافث، وأَنَّ القَبَائِلَ وَالشُّعُوبَ

([3]) هلال، عبد الغفّار حامد، العربيّة خصائصها وسماتها، ج1، ط4، مجلّة اللسان العربيّ، 1415هـ – 1995م، مج2، ص47–49.

([4])الكرمليّ، الأب أنستاس ماري، نشوء اللغة العربيّة ونموّها واكتمالها، المطبعة العصريّة، مصر– القاهرة، 1938م، ص101

([5]) انظر: عبد اللّطيف، محمّد حماسة، العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص119– 120.

([6])انظر: المرجع السابق، ص121.

([7])ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، د.ط، دار القلم، بيروت – لبنان، د.ت، ص 10.

([8]) المرجع السابق، ص9.

([9]) بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التوّاب، جامعة الرياض، 1397هـ– 1977م، ص11.

تَكَوّنَتْ من سلالتِهم »[10]. فَالشُّعُوبُ السَّاميةُ هي: الآراميةُ والفينيقيَّةُ والعَرَبيَّةُ واليَمَنِيَّةُ والبَابليَّةُ، ومَا انْحَدرَ مِنْ هَذِهِ الشُّعُوبِ[11].

المَوطِنُ الأَصلِيُّ للسَّاميينَ:

تَسَاءَلَ العُلَمَاءُ عَنِ المَوطِنِ الأَصْلِيِّ للسَّاميينَ، فَاخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهِ، «فالمَهدُ الجُغْرَافِيُّ الأوَّلُ للُّغَةِ السَّاميةِ بَحْثٌ حَيَّرَ العلماءَ»[12]. وتعدَّدَتْ إجَابَاتُهُمْ فِي هَذَا الصَّدَدِ، ولَمْ يَصِلُوا بَعْدُ بشأنِهِ إلَى رَأْيٍ يَقِينِيٍّ[13]؛ فَبَعْضُهم يَذْهَبُ إلَى أَنَّهم قَدْنَشَؤوا بِبِلَادِ الحَبَشَةِ، وبَعْضُهُم يَذْهبُ إلَى أَنَّ المَهدَ الأَوّلَ للسَّاميينَ كَانَ بَلادَ أَرْمِينيَّةَ، ومِنْ قَائِلٍ: إنَّهم نَشَؤوا فِي شَمَالِي إفريقيَّةَ، ومِن قائلٍ: إنَّ جُنُوبَ العراقِ عَلَى نَهرِ الفُرَاتِ كَانَ المَهدَ الأوّلَ للسَّامِيين، ويَرى بعضُهم أَنَّ المَوطِنَ الأَصليَّ للّسامِيين كَان بلادَ كنعان، ويَرَى آخَرونَ أَنَّ هَذَا المَوطِنَ كَانَ بِلادَ اليمنِ، وغيرُ ذَلِكَ مِنَ الأَقوَالِ[14].

ورَجَّحَ كَثيرٌ منَ الدَّارسِين أنْ تكونَ الجَزيرةُ العَربيَّةُ هِيِ المَوطنَ الأَصْليَّ لِكُلِّ الشّعوبِ السّاميةِ، فمِنَ المُستَشْرِقِينَ إيرهاردشرادر، وفنكلر، وتيله، والأب فنسان، والأثريِّ الفَرنْسِيِّ جاك دي مورجان، والإيطاليِّ كايتاني [15]، وكارل بروكلمان الَّذِي يعتَقِدُ أَنَّ الجَزيرةَ العربيّةَ هي المَكَانُ الَّذِي يَصلُحُ لِيكُونَ مَهدَ السَّاميينَ الأوَّل [16]، ومَالَ إلَى هَذَا الرّأي كَثِيرٌ مِنَ العَرَبِ [17]. فَهو« أَصَحُّ الآرَاءِ، وأَقواهَا سَنَدَاً، وَأَكْثَرُها اتّفَاقاً مَعَ آثَارِ هَذِهِ الأُمَمِ وحَقَائِقِ التَّارِيخِ» [18]؛ حَيثُ «التَّارِيخُ القَدِيمُ قَدْ صَرَّحَ بِخُروجِ كَثيرٍ مِنَ الأُمَمِ السّامِيةِ مِنْ هَذِهِ الجَزيرةِ، مِثْل الأكدِيينَ، والآرامِيينَ، والكَنعانِيينَ، وغيرِهم»[19]. «ويُؤيِّدُ هَذَا الرَّأيَ كَذلكَ مَا ذَهَبَ إِلَيهِ الأميرُ كِيتانيدوتيانو مِنْ أَنَّ هَذَا القِسمَ كَانَ فِي العُصورِ السَّابِقَةِ للتَّاريخِ كَثيفَ السُّكَّانِ، خَصْبَ الأَرضِ، مَوفُورَ الخَيرَاتِ، تَخْتَرِقُهُ ثَلَاثَةُ أَنْهرٍ كَبيرةٍ عَلَى الأَقَلِّ، وَأَنَّهُ عَلَى أَثَرِ بَعْضِ الظَّواهِرِ البَحريَّةِ، وانْحِسَارِ جِبَالِ الثّلْجِ الكَبيرَةِ إِلَى الشِّمَالِ، فَقَدَ خصبَهُ، وَجَفَّتْ أَنْهَارُهُ، فَنَزَحَ مُعظمُ سُكَّانِهِ إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى. وقَدْ اعتَمَدَ فِي نَظريَّتِهِ عَلَى أَدِلَّةٍ مُستَمَدَّةٍ مِنَ البُحُوثِ الجيولُوجِيَّةِ الَّتِي أُجْرِيتْ بِهَذِهِ المِنْطَقَةِ» [20]؛ كَمَا رَأَى البَاحِثُونَ أَنَّ«جَميعَ الأُمَمِ السّاميةِ تَغلِبُ عَلَيها صِفَاتُ البَدَاوةِ وَالأَخلَاقِ والطَّبائِعِ الصَحراوِيَّةِ، وَلَا تَفْسِيرَ لِذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأُمَمُ قَدْ عَاشَتْ أَدوارَ حَيَاتِهَا الأُولَى فِي مِنطَقَةٍ صَحْراوِيَّةٍ، وَهَذِه المِنْطَقَةُ هِي جَزِيرَةُ العَرَبِ لَا غَيْرُهَا»[21].

ويُفسِّرُ الدّكتورُ عَلِي عَبْد الواحِد وافي ذَلِكَ بَأَنَّ العَقليَّةَ السّامِيةَ القَديمَةَ أَسَاسُهَا الحِسُّ المُشَاهَدُ لا المَعنَويُّ المُتَخَيَّلُ، فَهِي ضَحْلَةُ التَّخَيُّلِ، قَلِيلَةُ العُمْقِ فِي المَعقُولَاتِ المَحْضَةِ، ومِنَ الوَاضِحِ أَنَّ عَقْلِيَّةً هَذَاشَأْنُهَا لَا تَنْشَأُ إِلّا فِي مَواطِنَ صَحراوِيَّةٍ قَليلَةِ المَظَاهِرِ الطَّبيعيَّةِ، غَيرِ مُتَنَوِّعَةِ الأَجواءِ، وهَذِهِ الأوصَافُ مُتَوافِرةٌ فِي الحِجَازِ ونَجْدٍ ومَا

([10]) الصّالح، صبحي، دراسات في فقه اللُّغة، ط11، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، 1986 م، ص47– 48.

([11]) انظر: وافي، علي عبد الواحد ،فقه اللُّغة ، ط1، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الفجالة – القاهرة، د.ت، ص 6.

([12]) ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ط2، دار القلم ، دمشق، 1410هـ - 1990م، ص11.

([13]) انظر: وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 10.

([14]) انظر: المرجع السابق، ص10–11.

([15]) انظر: ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ص 15.

([16]) انظر: بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ص 12.

([17])انظر: وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 13. عبد اللّطيف، محمّد حماسة، العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث، ص121. ضيف، د.شوقي، العصر الجاهليّ، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 22. ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ص 16.

([18]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 11.

([19]) الأنطاكي، محمّد، دراسات في فقه اللغة، ط4، دار الشرق العربيّ، بيروت، د.ت، ص 68.

([20]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 13.

([21]) الأنطاكي، محمّد، دراسات في فقه اللغة، ص 68.

إليهِمَا[22]. ويَرى ولفنسون أَنَّ هَذهِ الهِجراتِ لَيسَت بِالدليلِ اليَقِينيِّ عَلَى أَنَّ الجَزيرةَ العَربيَّةَ كَانَتِ المَهدَ الأَصلِيَّ لِلأُمَمِ السَّامِيةِ، «وَكُلُّ مَا تَدلُّ عَليهِ العَلاقَةُ المَتِينَةُ بَينَ الهِجراتِ السّامِيةِ والجَزيرةِ العَربيّةِ إنَّما هُو تَأثُّر السّامِيةِ بِلُغَاتِ الجَزِيرةِ العَربيَّةِ»[23]. وَسَاقَ الدّكتورُ حسن ظَاظَا مَجموعَةَ الآرَاءِ الأُخرَى لِمَوطِنِ الشعوبِ السَّامِيةِ، مُقدِّماً أسبَابَ بُطْلَانِهَا[24].

ومِنْ نَتائجِ كَونِ الجزيرةِ العَربيَّةِ المَهدَ الأصلِيَّ للشّعُوبِ السّامِيةِ ظُهورُ أَصْواتٍ تَدعُو إِلَى تَغيِيرِ اسمِهَا إِلَى اللُّغَاتِ الجزريَّةِ؛ لأَنَّها ارتَبَطَتْ بِصورةٍ واضحَةٍ بمصْطَلَحٍ لا يَخدمُ الأُمَّةَ العَربيَّةَ فِي مَاضِيها وحَاضرِهَا ومُستقْبَلِهَا [25]، فَهَذِهِ التَّسميَةُ مَبنيّةٌ عَلَى أَسَاسٍ غَيرِ عِلْمِيٍّ؛ إِذْ يَرَى الدكتور عَلِي عَبد الواحِد الوَافِي «أَنَّ سِفْرَ التَّكوينِ قَد اعتَمَدَ فِي تَقْسِيمِهِ عَلَى الرّوابطِ السّياسِيَّةِ، والثقافِيَّةِ، والجُغرافِيَّةِ أَكْثَر مِن اعْتِمَادِهِ عَلَى صِلَاتِ القَرابَةِ والرَّوابِطِ الشَّعْبِيَّةِ» [26].

الخصائِصُ المُشتركَةُ بينَ اللُّغَاتِ الساميةِ :

يَرَى العُلَمَاءُ أَنَّ صِلاتِ القُربَى والصفَاتِ الجَامِعَةَ بَينَ اللُّغَاتِ السّامِيةِ كَثِيرَةٌ وَوَاضِحَةٌ؛ فَاتِّصَالُهُم بِبعضِهم ظَلَّ مُتواصِلاً مِنْ خِلَالِ الهِجْرَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَنَاطِقَ لَيسَتْ شَاسِعَةً مُتباعِدَةً.

ومِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الخَصَائِصِ الّتِي تَجْمَعُ اللُّغَاتِ السامِيةَ:

1 – «أَصْلُ الكَلِمَةِ فِي تِلْكَ اللُّغَاتِ، فَهو أَصلٌ ثُلَاثِيٌّ يَتَأَلّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ حُرُوفٍ سَاكِنَةٍ، مِثْل: (د خ ل)، (د ف ع) (س م ع). وَقَد ارْتَأَى بَعضُ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَبِنَاءً عَلَى المُلَاحَظَةِ وَالمُقَارَنَةِ أَنَّ أُصُولَ الكَلِمَاتِ فِي اللُّغَاتِ السامِيةِ ثُنَائِيَّةٌ لَا ثُلَاثِيَّةٌ»[27].

2 – الأَصواتُ السَّاكِنَةُ– ونَعنِي بِها مَا عَدَا الأَصواتِ اللّيِّنَةَ– فَلَهَا أَهَمِيَّةٌ تَزِيدُ عَلَى أَهَمِيَّةِ أَصواتِ اللِّينِ[28]. و«الحَرَكَاتُ لَا تَعْنِي أَكْثَرَ مِنَ التفصِيلَاتِ، ورُبَّمَا لَم يَظهرْ لَها أَثَرٌ فِي الكِتَابَةِ، إِذْ يَظَلُّ رَسْمُ الكَلِمَةِ (ق، ت، ل) وَاحِدَاً، (قتل)، ويُفصِّلُ فِي دلَالتِهِ وُجُودُ الحَركَاتِ أو الأَصواتِ اللّيِّنَةِ؛ لِتُفرِّقَ بَينَ الفِعلِ مِنْ غَائِبٍ مُفرَدٍ (قَتَلَ) أو لِوُقُوعِ الفِعْلِ عَلَى المَجْهُولِ (قُتِلَ)»[29].

3 – تَصرِيفُ أَفْعَالِها، حَيثُ لَا تَتَضَمَّنُ اللُّغاتُ الساميةُ إلّا صِيغتَينِ اثنتَينِ؛ إحدَاهَا تَدُلُّ عَلَى تَمَامِ وُقُوعِ الحَدَثِ وانقِضَائِهِ، وهي الَّتِي تُسمَّى بِصيغَةِ الفِعْلِ المَاضِي. والثَّانية تَدُلُّ عَلَى استِمرَارِ الحَدثِ وعَدَمِ تَمامِهِ، وهِي الَّتِي تُسمَّى المُضارع[30].

4 – «التشابُهُ فِي العديدِ منَ المُفردَاتِ ودلَالتِها» [31]، وَخَاصّة المُفردَاتِ الَّتِي تَدلُّ عَلَى أَعضَاءِ الجِسْمِ، والضَمائرِ، وصلةِ القَرابَةِ، والعَددِ، وَبعضِ الأَفْعَالِ ومَرافِقِ الحَياةِ الشائِعَةِ فِي الأُمَمِ السَّامية [32].

([22]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 13–14.

([23])ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 13.

([24]) انظر: ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ص 11–15.

([25]) انظر: الضامن، حاتم صالح، فقه اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة بغداد، 1411هـ – 1990م، ص24

([26]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 6.

([27])محمّد مايو، عبد القادر، الوجيز في فقه اللغة العربيّة، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط 1، دار القلم العربيّ، حلب، 1419 هـ – 1998م، ص37.

([28]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 20.

([29])محمّد مايو، عبد القادر، الوجيز في فقه اللغة العربيّة، ص 38.

([30]) انظر: ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ص21.

([31])محمّد مايو، عبد القادر، الوجيز في فقه اللغة العربيّة، ص 38.

([32]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص 21.

5 – «إمكَانُ تَحويلِ الاسمِ والصّفَةِ مِنَ المُذكَّرِ إلَى المُؤنَّثِ بإضَافَةِ تَاءٍ إلَى المُذَكَّرِ»[33].

6 – الإعْرابُ الَّذِي بَقِيَ فِي بَعضِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، وانْدَثَرَ مِنْ بَعضٍ؛ فَهُناكَ تَغييرٌ فِي الحَركَاتِ الوَاقِعَةِ عَلَى أوَاخِرِ الأَلْفَاظِ لتَحدِيدِ وَظيفَتِهَا فِي الجُمْلَةِ[34].

الفهمُ التَّاريخيُّ لِعَلَاقَةِ العربيَّةِ بَالساميةِ:

لَيْسَ مِنَ العَسِيرِ عَلَى دَارِسٍ أَنْ يُتَابِعَ العَلَاقَةَ بينَ العَربيَّةِ وأَخَواتِهَا الساميات مِنْ خِلَالِ مُساهَمَةِ عُلَمَاءِ العَرَبِ فِي العَصرِ الحَديثِ؛ إذْ أُلِّفَ فِي هَذَا المَجَالِ الكَثيرُ مِنَ الكُتُبِ [35]. ولكَنْ مَا نُريدُهُ هُو أَنْ نَسرُدَ تَارِيخِيّاً هَذِهِ العَلاقَةَ، وَهَذَا لَيسَ بِالأَمرِ المُتَنَاوَلِ المُتَدَاوَلِ، فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ عَنِ اللُّغَاتِ الساميةِ نَرَاهُ غَالِبَاً يَعتَمِدُ عَلَى المَراجِعِ الحَديثَةِ، وسنعتَمِدُ عَلَى جَمْعِ الأَقوالِ الَّتِي تَدلُّ أَو تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ بِدْءاً مِنَ العصْرِ الجَاهِلِيِّ.

فَقَدْ وَرَدَ فِي صَحيحِ البُخَارِيِّ أَنَّ ورقَةَ بنَ نوفل قَدْ تنصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وكَانَ يَكْتُبُ الكتَابَ العبرانِيَّ، فيكتُبُ مِنَ الإنجيلِ بِالعبرَانيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكتُبَ[36]. وأكَّدَ كارل بروكلمان عَلى وجودِ«ترجماتٍ قَديمَةٍ للإنجِيلِ، قَدْ تَرْجِعُ إِلَى زَمنِ الجَاهِلِيَّةِ»[37]، وَيَروِي رُواةُ الشِّعْرِ وَأهلُ الأخبارِ شِعراً يَدلُّ علَى وُقُوفِ أَصحابِهَا عَلَى التوراةِ، أَو عَلَى بَعْضِ أسفَارِهَا، أو قِصصٍ مِنْهَا؛ منهم عدي بنُ زيدٍ، الَّذِي كَانَ نَصرانِيّاً قَارئاً كَاتِباً بَالفارسيَّةِ والعربيَّةِ، وفِي شعرِهِ زُهْدٌ وتَصوُّفٌ وتديُّنٌ وتفكُّرٌ. وأميّةُ بنُ أبي الصلْتِ قَدْ كَانَ واقِفَاً علَى كُتُبِ اليهودِ والنَّصارَى، قَارِئَاً لِكُتُبِ الديانتَينِ، مُطَّلِعَاً عَلَى العبرانيَّةِ أو السريانيَّةِ أو عَلَى اللُّغتَينِ مَعَاً. وبَعدَ كُلِّ هَذَا لَا يَستَبْعِدُ الدكتورُ جواد علي أَخْذَهُمَا للتوراةِ ووقوفَهُما عَلَى قصصِهِ، وهَذا مَا سَاعَدَ فِي تَكوينِ رَأيِ عَامٍ عَنْ وُقُوفِ العَرَبِ عَلَى الآراءِ التوراتيَّةِ فِي الجاهليَّةِ[38].

ونَرَى أَنَّ العَصرَ الجَاهِلِيَّ الَّذي عُرِفَ بأُمِّيَّةِ أبنائِهِ عُمُوماً، كَانَ مِنهم مَنْ جَمَعَ مَعَ لغتِهِ الأمِّ لُغةً أُخْرَى، استَطَاعَ أَنْ يَمتلِكَ المُفرداتِ والقواعدَ النحْويَّةَ والصرفيَّةَ لهذهِ اللُّغةِ؛ لِيستَطِيعَ التّرجَمَةَ. وَمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ يتَعَلَّقُ بِأغراضٍ دينيّةٍ عُمُومَاً، ظَهَرَتْ مِنْ خِلَالِ قراءةِ الكتابِ المُقدَّسِ، والاطّلاعِ عليهِ، وتأثُّر كثير من الشعراءِ بمعانٍ إنجيليَّةٍ وتوراتيَّةٍ. وهنا، هل عربٌ قامُوا بترجمةِ الكتابِ المُقدَّسِ أو أَهلُ الكِتَابِ؟ مَا يَهُمُّنَا أَنَّ التَّفاعُلَ بَينَ العَربيَّةِ واللُّغَاتِ الساميةِ أو بعضِها حَاصِلٌ فِي كِلَا الحَالتَينِ.

ومَعَ سُطُوعِ شَمْسِ الإسلَامِ، ودُخولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ أَفواجَاً، ظَهَرَتْ عَوامِلُ جَديدةٌ؛ فَهجرةُ النّبيّﷺ إِلَى المَدينةِ كَانَتْ عَامِلاً أَساسَاً فِي الاحتكاكِ باليهودِ ولغتهم، فقد ورد في صحيح البخاريّ «عن أبي هريرة قالَ: كانَ أهلُ الكتابِ يقرؤونَ التوراةَ بالعبرانيّة، ويُفسِّرونَها بالعربيّةِ لأهلِ الإسلام» [39]، ويبدو أنّ بعضَ الكلمات كانت تُستَعملُ على وجه القلّة والندرة، لإفهامِ مَن لا يُتقنُ العربيّةَ، ويُمكنُ ذلكَ لملاطفةِ مَن يفهم تلكَ اللغاتِ غير العربيّةِ، وصدرَ بعضُ ذلكَ من أصحابِ الحلِّ والربطِ؛ فقد أُتِي رسولُ اللهﷺ بثيابٍ فيها خَميصَةٌ سَوداءُ. قَالَ: مَنْ تَرونَ نَكسُوهَا هَذهِ الخَميصَةَ؟ فأُسكِتَ

([33])محمّد مايو، عبد القادر، الوجيز في فقه اللغة العربيّة، ص 38.

([34]) انظر: ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم، ص23.

([35]) ذُكِرَ منها مراجعُ في الصفحات السابقة. ومنها: الصّالح، صبحي، دراسات في فقه اللُّغة – الصّالح، صبحي، دراسات في فقه اللُّغة – ظاظا، حسن، الساميّون ولغاتهم– وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة – الأنطاكي، محمّد، دراسات في فقه اللغة – ولفِنسون، تاريخ اللغات السامية – الضامن، حاتم صالح، فقه اللغة– محمّد مايو، عبد القادر، الوجيز في فقه اللغة العربيّة.

([36])البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط 1، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، 1423هـ – 2002م، رقم: (3)، ص7.

([37]) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربيّ، تر: د. رمضان عبد التوّاب– د. يعقوب السيد بكر، ج4، ط5، دار المعارف، القاهرة، ص90.

([38]) علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 1، ط2، جامعة بغداد، 1413هـ – 1993م، ص412–413.

([39])البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم: (7542)، ص1864.

القومُ. قالَ: ائتوني بِأمِّ خَالدٍ. فَأُتِي بي النبيّ ﷺ، فألبسنيها بِيدِهِ، وَقَالَ: أَبْلِي وأَخْلِقِي –مرتين–، فجَعَلَ يَنظُرُ إلَى عَلَمِ الخميصَةِ، ويُشيرُ بيدِهِ إليّ، ويَقُولُ: يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَا. والسنا بلسان الحبشيّة: الحَسَنُ[40]. بالإضافةِ إلَى الرسائِلِ الَّتِي يَتَلَقَّاهَا النّبيُّﷺأو الَّتِي يَبعثُهَا، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنَ العَوامِلِ الَّتي اسْتَدعَتْ أَنْ يَتَعَلَّمَ بَعضُ الصحَابةِ اللُّغاتِ، حَيثُ يَرْوِي البخاريُّ عَنْ زيدِ بنِ ثابتٍ« أنَّ النّبيَّ ﷺأَمَرَهُ أَنْ يتَعلّمَ كِتَابَ اليهودَ، حَتَّى كَتَبْتُ للنّبيِّ ﷺ كُتبَهُ، وأَقرَأْتُهُ كُتبَهُم إذَا كَتَبُوا إليهِ»[41]. وَمِمَّا يُثيرُ الاهتمامَ أَنَّ الصحابَةَ لَمْ يَكونُوا عَرباً جَميعَاً، فمِنهم صُهيبٌ الروميُّ، وسَلْمَانُ الفارِسيُّ، وبِلالٌ الحَبَشيُّ. وما يُهمُّنا هو بلالٌ الحَبَشِيُّ، لكونِ لغتِهِ لغةً ساميةً، فكتُبُ السيرةِ لم تذكرْ لَنَا عنْ لغتِهِ الأمِّ، هَلْ كَانِ يستخدمُها؟ وليسَ من المَعقُولِ أَنْ نقُولَ: إنَّهُ قَدْ نَسيَها، فَستَصدرُ عنْهُ فِي وَقْتِ الانفِعَالَاتِ، أو ردّةِ فِعلٍ عَلَى شكْلِ كَلِمَةٍ أو جُمْلَةٍ ينطقُ بِهَا، ولَو عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ. فقدْ سَبَقَ الذكْرُ أَنَّ النّبيَّ تَكلَّمَ ببعضِ الكَلِمَاتِ الحَبَشيَّةِ، وقَدْ وَرَدَ فِي صحيحِ البُخارِيِّ[42] أَنَّ الصحابيَّ أبا هُريرَةَ قَد رَطَنَ بالحبشيَّةِ، فَالأوْلَى لِصَاحِبِ اللغةِ الأمِّ بِذَلِكَ.

ورَوَى ابنُ سعْدٍ في الطبقاتِ أَنَّ أبا الجلْدِ، واسمُهُجيلانُ بنُ فَروَةَ كانَ يَقرأُ الكتبَ، ورَوى عَن مَيمونةَ بنتِ أبي الجلْدِ قالَتْ: كَانَ أَبِي يَقرأُ القرآنَ فِي كُلِّ سبعةِ أيّامٍ، ويَختمُ التوراةَ في ستَّةٍ،يَقرؤُها نَظَراً، فَإذَا كَانَ يَومُ يَختمُها حُشِدَ لذلكَ ناسٌ، وكانَ يَقولُ: كَانَ يُقالُ تَنزلُ عِنْدَ خَتْمِهَا الرحمةُ [43]. وقولُها:" يَقرؤُهَا نَظَراً" يَعنِي لَيسَ غَيباً، فَالكِتَابُ بَينَ يَديهِ، فَنَحْنُ أَمَامَ خَيارَينِ؛ أَنْ يَكُونَ القَارِئُ عَالِماً بالعِبريَّةِ، وهَذَا الأقوى، فَلَو كَانَ يَقرَأُ التّوراةَ مُتَرْجَمَةً، مَا حُشِدَ النَّاسُ يَومَ يَختِمُها، أَو أَنْ تكونَ مُترجَمةً، فاليَهودُ عَلِمُوا العربيَّةَ، وأَتقَنُوها، ثُمَّ تَرجمُوا كتَابَهم المُقدَّسَ، وَهَذا رَأيٌ يُضعِفُهُ حَديثُ أَبِي هُريرةَ السّابقُ، حَيْثُ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقرَؤُونَ التّوراةَ بَالعبرانيَّةِ، ويُفسِّرُونَها بالعربيَّةِ لأهلِ الإسلامِ» [44]، وفِي كَلَا الحالتَينِ هُنَاكَ اتِّصالٌ بَينَ اللغَتَينِ.

ومَعَ مُرورِ الزَّمَنِ وتَتَالي السّنين أَخَذَتْ مَعرفةُ العربِ لِبَعضِ اللُّغاتِ السَّاميةِ تَتَعَمَّقُ، فَتَجاوزَ الأَمرُ كَلماتٍ مُستَعمَلَةً، إلَى التِمَاسِ إشَاراتٍ تُشعِرُ القَارئَ بمعرِفَةِ أوجُهِ تشابُهٍ بينَ العَربيَّةِ وغيرِهَا مِنَ اللُّغاتِ الساميةِ؛ وَلَعَلَّ قَولَ الخَليلِ بنِ أحمدَ في مُعجمِ العينَ ما يُشيرُ إلَى هَذِهِ العَلاقةِ، فَقَدْ وَرَدَ عنهُ النصُّ الآتِي:« وكنعانُ بنُ سامِ بنِ نُوحٍإليهِ يُنْسَبُ الكنعانيّونَ، وكانُوا يتَكَلَّمُون بِلُغةٍ تُقاربُ العربيَّةَ» [45]. « وقد جَاءَ كَلَامُهُ عَامَّاً ليسَ فيه تصريحٌ عنْ هَذِهِ اللغةِ الكنعانيَّةِ، بَل اكْتَفَى بقولِهِ إنَّها تُقاربُ اللغةَ العربيَّةَ. وهو بذلكَ يَفطنُ إلَى وُجُودِ أوجُهِ شَبَهٍ بينَ اللُّغتَينِ، ولَكنَّهُ لَم يُفصِحْ عَنْها، ولا نَدرِي أَقرَأَ مِنْ تلكَ اللغةِ أم عَرَفَها مَعرفَةً سطحيَّةً فَقط» [46]. ومِنَ النّصوصِ الَّتِي تُشيرُ إلَى هَذِهِ العَلَاقةِ مَا جَاءَفِي كِتَابِ الزينةِ فِي الكَلِمَاتِ الإسلاميَّةِ«فَللعربِ فِي كلامِها عَلَامَاتٌ لا يَشْرَكُهم فِيها أحدٌ مِنَ الأُممِ نعلمُهُ، مِنْهَا إدْخَالُهم الألفَ واللامَفي أوّلِالاسْمِ، وإلزامُهُم إيّاهُ الإعرابَ فِي كُلِّ وَجْهٍ؛ فِي الرّفْعِ والنّصْبِ والخفْضِ. كَمَا أَدخَلُوا فِي (الطور)، وحَذَفُوا الألفَ الَّتِي فِي الآخِرِ؛ فَأَلزَمُوهُ الإعرابَ فِي كُلِّ وجْهٍ، وَهو بِالسريَانيَّةِ(طوراً) عَلَى حَال واحِدٍ؛ في الرّفْعِ والنَّصْبِ والخفْضِ. وكَذَلِكَ (اليم) هو بالسّريَانيَّةِ (يما)، فأدخلَتِ العربُ فِي الألفِ واللّام، وصَرَفَتْهُ فِي جَميعِ الإعْرَابِ

([40]) البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم: (5845)، ص1477.

([41])المرجع السّابق، رقم: (7195)، ص1779.

([42]) المرجع السّابق، رقم: (5771)، ص1461.

([43])ابن سعد، محمّد، كتاب الطبقات الكبير، تحـ. د. علي محمّد عمر، ج 9، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ- 2001م، ص221.

([44]) البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم: (7542)، ص1864.

([45]) الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، العين، تحـ. د. عبد الحميد هنداوي، ج 4، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1424هـ - 2003م، ص52.

([46]) حجازي، أحمد عارف، العربيّة واللغات السامية في المجتمع العربيّ القديم، ط 1، كلية دار العلوم- جامعة المنيا، 1994م، ص59.

عَلَى مَا وَصَفت» [47]. واتّخذَتْ هذهِ العلاقَةُ عِنْدَ ابنِ دريدٍ صورةً أُخْرَى؛ فَهو يَرَى أَنَّ يعربَ بنَ قحطانَ سُمِّيَ يعربَ «لأَنَّهُ أَوَّلُ مَن انعدَلَ لِسانُهُ عَنِ السريانيَّةِ إلى العربيَّةِ» [48]. ثمّ أخذَتْ صيغةُ الكَلامِ تَزدَادُ وُضُوحاً لِهذهِ العَلاقَةِ؛حَيْثُ تَوصَّلَ بعضُ المُفَسِّرِينَ للقُرآنِ الكَرِيمِ إِلَى هَذِهِ العَلاقةِ منْ خِلالِ تفَاعُلِهِم مَعَ كَلَماتِ القُرآنِ الكَرِيمِ، وتأويلِ بَعضِهَا، وردِّهَا إِلَى اللُّغةِ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّها أصلُها. فَأَبُو حَيَّانَ التّوحِيدِيّ يَرَى أَنَّ كَثِيراً مَا تَتَوافقُ اللغتانِ؛ لُغةُ العربِ ولُغةُ الحَبَشِ فِي أَلْفَاظٍ، وفِي قَواعِدَ مِنَ التّرَاكِيبِ النَّحْوِيَّةِ؛ كَحُرُوفِ المُضَارعةِ، وَتَاءِ التّأنِيثِ، وهَمْزَةِ التعدِيَةِ. وعَلَّلَ ذَلِكَ لِقُرْبِ العربِ مِنَ الحَبَشِ، ودُخُولِ كَثِيرٍ مِنْ لُغَةِ بعضِهم فِي لُغَةِ بَعْضٍ[49]. ويُنْكِرُ الدّكتورُأحمدُ مُختار عمر صِحَّةَ أَنْ تَكُونَ الدّراساتُ اللّغويَّةُ المقارنَةُ لَم تُوجَدْ إلّا فِي العَصْرِ الحَدِيثِ، وبَعْدِ اكْتِشَافِ اللغةِ السنسكريتيَّةِ، حَيثُ أَكَّدَ عَلَى وُجُودِ دِراسَاتٍ مُقارنَةٍ قَامَ بِهَا لُغويُّونَ مُتَخَصِّصُونَ، ومُعْظَمُهَا تَمَّ فِي المغربِ والأندَلُسِ عَلَى يَدِ لُغويِّينَ يَهودٍ، سَجَّلُوهَا بِاللُّغَةِ العَربيَّةِ. فَأَلَّفَ ابْنُ بارون كِتَابَاً أَسْمَاهُ "كتاب المُوازَنَةِ بينَ اللُّغةِ العِبريَّةِ والعَربيَّةِ"، وَقَدْ خَصَّصَ الكِتابُ للدراسَةِ المقارنَةِ بَيْنَ اللغَتَينِ مِنْ جَانِبَي اللغَةِ والنَّحْوِ، واهتمَّ بِبيانِ أَوْجُهِ الشبهِ والخِلَافِ[50].

وهكذا ممّا سَبَقَ، يتبيّنُ لنا أنَّ قَضيّةَ اللُّغاتِ السّاميةِ لَمْ تَتلْ عِندَ العَربِ القُدَماءِ الاهتِمامِ اللّازمَ، ولكنَّ ذَلكَ لَا يَنفِي مَعرفَتَهُم بعضَ تِلْكَ اللغَاتِ، وَلَو كَانَتْ مَعرِفَةً سَطحِيَّةً عِنْدَ بعضِهم، أو انتباهَهُم إِلَى التشَابُهِ بَيْنَ بَعْضِ اللغَاتِ واللغَةِ العربيَةِ، وَهَذا مُعَبِّرٌ عَنِ الفَهْمِ التاريخِيِّ لعلاقَةِ العربيَّةِ بالسَّاميةِ، وإنْ لَم يَنْتُجْ عَنْ ذَلِكَ دِرَاسَاتٌ يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ مِنْهَا؛ لأنَّ«الدرْسَ اللغويَّ عِنْدَ اللغويِّينَ القدماءِ ارتبَطَ فِي أذهَانِهِم بِقُدسيَّةِ العربيَّةِ، وَارْتِفاعِ شَأْنِهَا عَلَى مَا عَدَاهَا مِنَ اللغَاتِ واللَّهجاتِ، ومِنْ هُنَا انْصَرفُوا عَنِ الدرْسِ المُقارنِ للعربيَّةِ، فِي إِطَارِ فَصِيلتِها السّاميةِ مِنْ جَانبٍ، وَلَهَجَاتِها المَحَليَّةِ مِنْ جَانبٍ آخَرَ؛ ولِذَا نَرَى بَراعتَهم الفَائِقَةَ فِي تَسْجِيلِ الظَّواهِرِ اللغويَّةِ فِي العَربيَّةِ، بِمِقْدارِ مَا نَرَى أَوهَامَهم الكثيرةَ فِي البَحْثِ عَنْ أَسْرَارِ هَذِهِ الظواهِرِ وتَعْلِيلِها»[51].

المَبْحَثُ الثّانِي: الإعرابُ بينَ اللُّغاتِ السّاميةِ واللُّغةِ العَربيَّةِ:

اللُّغةُ العَربيَّةُ مِنَ اللُّغَاتِ السّاميةِ، وَعَلَى «مَا يَظهرُ هِي أَقْرَبُ لُغَاتِ المَجْمُوعَةِ إِلَى اللُّغةِ الساميّةِ الأمّ، عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ العِبريَّةَ هِي الأَقرَبُ، ومَنْ ذهبَ إِلَى أَنَّ الأشوريَّةَ البَابِلِيَّةَ هِي اللُّغةُ السّاميةُ الأُولَى، إِلَّا أَنَّ إِجْمَاعَ العُلَماءِ بَعدَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ العَربيَّةَ هِي أَقْدَمُ اللُّغاتِ السّاميةِ، وأَقْرَبُهَا إلى الأمِّ» [52]، فإذَا كَانَتِ العَربيَّةُ أَقْدمَ أَخَواتِهَا السّاميّاتِ، فَقَد اتَّضَحَ بِمَا لَا سَبيلَ إِلَى الشّكِّ فِيهِ قِدمُ العربيّةِ، فَإِنْ لَم تَكُنْ كَذلِكَ، فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ أَقْدَمَهَا وَأَعْرَقَهَا. «فَقَد احتَفَظَتْ بِكثيرٍ مِنَ الأُصُولِ السّاميةِ القَديمةِ فِي مُفْرَدَاتِهَا وقَواعِدِهَا، وَلَا تَكَادُ تَعدلُهَا فِي ذَلِكَ أَيَّةُ لُغَةٍ سَاميةٍ أُخْرَى. وَيَرجِعُ السَّببُ فِي هَذَا إِلَى نَشْأَتِها فِي أَقْدَمِ مَوطِنٍ للسّامِيّينَ، وبَقَائِها فِي مِنْطَقَةٍ مُستَقِلَّةٍ مُنعزِلَةٍ، فَقَلَّتْ بِذَلِكَ فِرصُ

([47]) الرّازي، أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة، علّق عليه. حُسين بن فيض الله الهمدانيّ، ج 1، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء، 1415هـ - 1994م، ص89-90.

([48]) ابن دُريد، محمّد بن الحسن، جَمْهَرة اللغة، تحـ. د. رمزي مُنير بعلبكي، ج 1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1987، ص319.

([49]) انظر: أبو حيّان، أثير الدين، تفسير البحر المحيط، تحـ. عبد الرزّاق المهدي، ج 4، د.ط، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- لبنان، ص211.

([50]) انظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغويّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثُّر والتأثير، ط 6، عالم الكتب، القاهرة، 1988م، ص333.

([51])عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، ط6، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ- 1999م، ص7.

([52]) آل ياسين، محمّد حسين، أبحاث في تاريخ العربيّة ومصادرها، ط 1، عالم الكتب، 1417هـ- 1996م، ص35.

احتِكاكِهَا باللُّغاتِ الأُخْرَى، ولَم تَذلّلْ لَها سُبلٌ كَثِيرةٌ للبُعْدِ عنْ أَصْلِها القَدِيمِ» [53]. وَسَاقَ ولفِنسون رأيَ المُستشرِقِينَ الّذِينَ يَرونَ أَنَّ مِنَ العَبَثِ أَنْ يَبْحَثَ المَرءُ فِي لُغَاتِ السّامِيِّينَ عَنْ أَقْرَبِها مِنَ الساميةِ الأَصليَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ العِلْمُ قَد اهتَدَى إِلَى أَنَّ اللُّغةَ السّنسكريتيَّةَ القَدِيمَةَ لَا تُعدُّ أقربَ لَهجةٍ قَدِيمةٍ إِلَى اللُّغةِ الآريةِ الأَصليّةِ، فَكَيفَ يُمْكِنُ أَنْ يُحكْمَ بَأَنَّ لُغةً سَاميةً أَقْرَبُ مِنْ غَيرِها إِلَى السّاميةِ الأَصليَّةِ فِي حِينَ نَعْلَمُ أَنَّهُ قَد طَرأَ عَلَى اللُّغَاتِ السّاميةِ مِنَ التّغيُّراتِ والتقلُّبَاتِ مَا لَا يُعَدُّ ولَا يُحصَى[54]. ومَعَ هَذَا الاختِلَافِ، فَقِدمُ اللُّغةِ العربيّةِ وَأَصَالَتِهَا بَينَ أَخَواتِهَا الساميَات لَا رَيبَ فِيهِ، إِنْ لَم تَكُنْ هِي أقدمَها؛ وهَذا يَجعَلُها« تتّسِمُ بِسِمَاتٍ كَثِيرةٍ مُشتَرَكَةٍ فِي الأَصواتِ، والمُفرَدَاتِ، وَالصّرفِ، وَالنّحْوِ» [55]، كَانَ الإعْرَابُ مِنْهَا، كَمَا سَبَقَ ذِكْرُ ذَلِكَ.

وَقَد ظَلّتْ مَسأَلَةُ الإعْرَابِ القَضيَّةَ الكُبْرَى الشَّاغِلَةَ عُقُولَ العُلَمَاءِ والمُفكِّرِينَ علَى طُولِ الزّمنِ، قَديمَاً وَحَدِيثَاً، فَهو سَاميُّ الأصلِ[56]، وامتَازَتِ اللُّغةُ العَربيَّةُ بِهَذِهِ الظَّاهِرةِ، وَهِي مِنْ صِفَاتِ العَربيَّةِ المُوغِلَةِ فِي القِدَمِ، فِي حِين أَنَّ سَائِرَ اللُّغَاتِ السّامِيَةِ – مَا عَدَا الأكديةَ– قَد فَقَدَ هَذِهِ الظَّاهِرةَ مُنذُ أَقْدَمِ العُصُورِ [57]. وَيَبدُو أَنَّ الدَّارسِينَ العَربَ اتَّخَذُوا مِنَ الحَرَكَاتِ الإعرَابيَّةِ دَلِيلَاً عَلَى وُجُودِ الإعْرَابِ فِي تِلْكَ اللُّغَاتِ، وتُوجَدُ حَرَكَاتُ الإعْرَابِ فِي بَعْضِ اللُّغاتِ الساميةِ كَمَا هُو فِي اللُّغةِ العَربيَّةِ الفُصْحَى؛ فَالفَاعِلُ مَرفُوعٌ، والمَفْعُولُ مَنصُوبٌ، وَعَلَامَةُ الرّفْعِ الضّمّةُ، وعَلامَةُ النّصبِ الفَتحَةُ، وعَلَامَةُ الجرِّ الكسرةُ، وَأَثْبَتَ ذَلِكَ الدّكتورُ رَمضَانُ عبد التوّاب مِنْ خِلَالِ بَعضِ نُصُوصِ قَانونِ حَمُورَابِيّ، المُدوَّنِ باللُّغَةِ البَابِليَّةِ القَديمَةِ، فَهو قَدْ لَاحَظَ إِلَى جَانِبِ هَذَا التَّشَابُهِ فِي الحَالَاتِ الإعْرَابيَّةِ تَشابُهاً فِي العَلاماتِ الإعْرَابيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تِلْكَ الحَالَاتِ، وَلَا يَقتَصِرُ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ المُثَنَّى وجَمْعَ المذكّرِ يُمَاثِلَانِ فِي الإعْرَابِ المُثَنَّى وَالجَمْعَ فِي العَرَبيَّةِ [58]. وفِي مِنْطَقَةِ رَأسِ شَمْرا فِي اللَّاذقيَّةِ تُوجَدُ حَالَاتٌ إِعْرَابيَّةٌ فِي اللُّغَةِ الأوجاريتيَّةِ، وَهي مَكْتُوبَةٌ بِالخَطِّ المِسْمَارِيِّ، فَالكَلِمَةُ إِذَا كَانَتْ مُنتَهِيَةً بَالهَمزةِ صُوِّرَتِ الهَمْزَةُ فِيها بِإِحْدَى الصّورِ فِي حَالَةِ الرّفْعِ، وبِالصورةِ الثّانيةِ فِي حَالةِ النّصْبِ، وبالصّورَةِ الثّالثَةِ فِي حَالَةِ الجَرِّ [59]. ويَرَى المُستَشْرِقُ Lithman أَنَّ أَوَاخِرَ الكَلِمَاتِ فِي اللَّهجَةِ النّبْطِيَّةِ قَدْ يَحدثُ فِيهَا تَغييرٌ بَحسبِ مَوضِعِها فِي الإعْرَابِ[60].

ومَنِ اللُّغَاتِ الّتِي رَأَى بَعْضُ الدَّارسِينَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ بَعْضَ الآثَارِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الإعْرَابِ هِي اللُّغةُ العِبْرِيَّةُ، فَلَمْ يَجِدِ الدكتورُ إبراهيمُ السامُرَّائِيُّ فِيها سُوى حَالةِ المَفْعُولِ بِهِ وضَميرِ التَّبعيَّةِ، وَعَدَّ هَذَا الأَثَرَ ضَئِيلاً جِدًّا، فَقَد أَوشَكَتْ تَخلُو لُغةُ العَهْدِ القَديمِ مِنَ الإعرابِ، غَيرَ أَنَّ عَلَامةَ النّصْبِ فِي العِبريَّةِ القَدِيمَةِ هِي الفَتحَةُ الطَّويلَةُ الَّتِي نَشَأَ عَنْهَا حَرْفُ الهَاءِ، والهاءُ المُتَطَرِّفَةُ فِي هَذِهِ اللُّغةِ تُشبِهُ الألفَ الليّنَةَ، ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُعَامَلَ مَعامَلَةُ أَحْرُفِ المَدِّ، وتظْهَرُ هَذِهِ الفتحَةُ

([53]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص213.

([54])ولفِنسون، تاريخ اللغات السامية، ص13.

([55])سباتينوموسكاتي وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، تر: د. مهدي المخزومي – د. عبد الجبار المطلبيّ، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ – 1993م ، ص13.

([56])براجشتراسر، التّطوّر النّحويّ للّغةِ العربيّةِ، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه. رمضان عبد التّواب، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1423هـ–2003م، ص116.

([57]) السامرائيّ، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، ط 3، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1403هـ – 1983م، ص221. و يوهان فك، العربيّة دراسات في اللّغة واللّهجات والأساليب، تر: رمضان عبد التوّاب، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1400 هـ –1980 م، ص15.

([58]) انظر: عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، ص382–383.

([59]) انظر: المرجع السابق، ص384.

([60]) السامرائيّ، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، ص221.

في آخِرِ الاسمِ المَنصوبِ بنَزْعِ الخَافِضِ، وفِي آخِرِ الظرفِ المَنْصُوبِ(ليلاً)، وَتَعنِي(ليل)، وَ(عتا) وَتَعنِي (حين)، وَفِي نِهايَةِ المَصدَرِ أَيضَاً، بِحَيثُ يَكُونُ مَنْصُوباً مِثْلَ المَفْعُولِ المُطْلَقِ فِي العَرَبِيَّةِ [61]، وَوَجَدَ الدّكتورُ مُحمَّد حُسين آل ياسين أنَّ الحَركَةَ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الحَرْفِ أَو تَحْتَهُ أَو فِيهِ أو الحَركَةَ الَّتِي تَسبِقُ الحَرفَ فِي العِبْرِيَّةِ تَتَحكَّمُ فِي تَغيُّرِ أَصواتِ حُروفٍ كَالكَافِ وَالبَاءِ وَالفَاءِ، حَيثُ تُغيِّرُ الحَرَكَةُ أَصواتَها إِلَى (خ) و(ڤ v) و(پ p)، وهُنَا يَكُونُ الفرقُ الواضِحُ فِي هَذِهِ النَّاحِيةِ بَينَ العَربيَّةِ وَالعِبريَّةِ؛ فَالعَربيَّةُ تُعبِّرُ عَنْ كُلِّ أصواتِها بالحُرُوفِ وَلَا تُغيّرُ الحَرَكَاتُ هَذِهِ الأَصوَاتَ، في حين نجدُ العبريّةَ تعتمدُ في تغييرِ أصواتِ بعضِ حروفِها على الحركاتِ[62].

وَيَرى البَاحِثُونَ فِي الحَبشيَّةِ مَا اتَّجَهُوا إِلَيهِ فِي العِبْرِيَّةِ؛ فِي قِلَّةِ الآثَارِ الدَّالّةِ عَلَى الإعرَابِ، فَفِيهَا آثَارٌ لِلإعْرَابِ– كَمَا يَرى الدّكتورُ عَلِي عبد الواحد– وَلَا سِيَّمَا فِي الجَعزيَّةِ وَالأَمهريَّةِ، مَعَ قِلَّتِهَا [63]. فِي حِين لَاحَظَ الدَّكتورُ رَمَضَانُ عبد التوّاب التَّطَابُقَ فِي حَالةِ النّصْبِ بَينَ العَربيَّةِ وَالحَبَشيَّةِ، وَأَظْهَرَ ذَلكَ مِنْ خِلَالِ بَعضِ جُمَلِ اللُّغَةِ الحَبَشِيَّةِ [64]. وَأَشَارَ الدّكتورُ عَلِي عبد الواحد وافي إِلَى بَعضِ الآثَارِ الضّئيلَةِ البِدَائِيَّةِ فِي الآراميِّةِ [65]، فِي حِين خَالَفَ الدّكتورُ صبحي الصالح ذَلِكَ، إِذْ يَرَى أَنَّهَا مُجرَّدَةٌ مِنْ ظَاهِرَةِ الإعرابِ[66]. وَتَحدَّثَ المُستشرِقُ "جويدي" عَنْ تاريخِ استِعمالِ الحَركَاتِ فِي الكِتَابَةِ السِّريانيَّةِ؛ فَرَأَى أَنَّ عُلمَاءَ العَربِ انتَفَعُوا مِنْهُ، فَأَتْقَنُوهُ، وَأَصْلَحُوهُ [67]. وَرَأَى جُرجِي زيدان أَنَّ عِنَدَهُم نقطاً كَبِيرَةً تُوضَعُ فَوقَ الحَرفِ أو تَحتَهُ؛ لِتعيينِ لَفْظِهِ أو تَعيينِ الكَلمَةِ الواقعِ هو فِيهَا: أسمٌ هِي أم فِعْلٌ أَمْ حَرْفٌ... [68]. وَكَانُوا يَستَعمِلُونَ هذهِ النَّقطَ للشّكْلِ الإعرابِيِّ[69].

ورَأَيتُ أَنَّ مِنَ الفَائِدَةِ بَعدَ العَرضِ النظريِّ لقضيّةِ الإعْرَابِ فِي اللُّغَاتِ السّاميةِ أَنْ أَعْرُضَ نَصَّاً تَطْبِيقِيَّاً، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِهَا قَانُونَ حَمُورابِي الَّذِي نَقَلَ بَعْضَاً مِنهُ الدّكتورُ رمضان عبد التوّاب [70]، فَهو مُدوَّنٌ بِاللُّغَةِ البَابِلِيَّةِ القَدِيمَةِ؛ فَالفَاعِلُ مَرفُوعٌ، والمَفْعُولُ بِهِ مَنصوبٌ، وعَلَامةُ الرَّفْعِ الضَّمّةُ، وعَلَامَةُ النَّصْبِ الفَتْحَةُ، وعَلَامَةُ الجَرِّ الكَسْرَةُ، فَفِي الفقرةِ الأُولَى مِنْ هَذَا القَانُونِ، نَقرأُ الجُمْلَةَ:

"ubbirma summa awelumawelam" بمعنى:" إِذَا اتَّهمَ إِنْسَانٌ إِنْسَاناً" فَفِي هَذِهِ الجُمْلَةِ نَجِدُ " awelum " الأُولَى بِمَعْنَى: " إنسان" فِي حَالَةِ الرّفْعِ، وَهِي مَرفوعَةٌ بالضمَّةِ، أَمَّا المِيمُ الأَخيرةُ فَهِي فِي الأكديةِ تُقَابِلُ التّنوينَ فِي اللُّغَةِ العَربِيَّةِ. و " awelam " الثّانيةُ فِي حَالَةِ المَفْعُولِ، وَهِي مَنصُوبَةٌ بَالفتحَةِ. وفِي الفقرةِ الخَامسةِ مِنَ القَانونِ نَفْسِهِ نَقرَأُ: " dinamiddin summa dayanum " بِمَعْنَى :" إِذَا حَكَمَ قَاضٍ حَكَمَاً؛ فَكَلِمَةُ " dayanum " بِمَعنَى " قَاض" فِي حَالَةِ الفَاعِليَّةِ، وَهِي مَرفُوعَةٌ بَالضَّمَّةِ، وَكَلمةُ " Dinam " بِمَعنَى "حكماً " فِي حَالةِ المَفْعُولِيَّةِ، وَهِي

([61]) السامرائيّ، إبراهيم، فقه اللغة المقارن، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م، ص13.

([62]) آل ياسين، محمّد حسين، أبحاث في تاريخ العربيّة ومصادرها ، ص44.

([63]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص214.

([64]) انظر: عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، ص384.

([65]) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللُّغة، ص210.

([66]) الصّالح، صبحي، دراسات في فقه اللُّغة، ص124.

([67]) انظر: الحمد، غانم قدوري، رسْم المصحف، ط1، منشورات اللّجنة الوطنيّة، بغداد . العراق، 1402هـ . 1982م، ص509.

([68]) انظر: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللُّغة العَربيّة، ج2، ط1، دار نوبليس، بيروت، 2003 – 2004، ص79.

([69]) ياقوت، أحمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النّحو العربيّ وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د.ط، دار المعرفة، الإسكندريّة، 1994م، ص53 . 54.

([70]) انظر: عبد التّوّاب، رمضان، فصول في فقه العربيّة، ص383.

مَنْصُوبَةٌ بالفَتحَةِ. وفِي الفقرةِ (195) مِنْ هَذَا القَانُونِ: " imtahas summa maruabasu" بِمَعنَى:" إذَا ضَرَبَ ابْنٌ أبَاهُ"، نَجِدُ كَلِمَةَ : "abasu" بَمَعنَى: " أَبَاهُ "، وَهَي فِي حَالَةِ المَفْعُولِيَّةِ مَنصُوبَةٌ بالألفِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ.

فَالإعْرَابُ مِنْ خَصَائِصِ مُعظَمِ اللُّغَاتِ السّاميةِ،وَهو سِمَةٌ أَصليَّةٌ مِن خَصائِصِ العَربيَّةِ، فَالمُوازَنَةُ بَينَها، وَبَينَ اللُّغَاتِ السَّاميةِ الأُخرَى هِي السبيلُ لِمُعَالَجَتِها فِي العَربيَّةِ.

الإعرابُ في العربيَّةِ:

الإعرابُ مِنْ أهمِّ مَزَايَا العربيَّةِ، وهو السَّبيلُ الواضحُ إلَى فَهمِ مَعَانِي الكَلَامِ وَأَسَالِيبِهِ وَتَحليلِ تَراكيبِ الجُملَةِ، وإدراكِ العَلاقَةِ بَينَ أَلفَاظِها، فَهو مِنْ أشدِّ خَصَائصِ العَربيَّةِ ظُهوراً، وبِهَذَا يَتَبيَّنُ لَنَا مَكانَةُ الإعرَابِ ومِقْدَارُ الحَاجَةِ إلَيهِ،فتَحَمَّلَ العبْءَ الأَكْبرَ فِي أَداءِ المَعَانِي الدَّقيقَةِ؛ إذْ كَانَ لَهُ الأَثرُ العَمِيقُ فِي إيضَاحِهَا. ونُشوءُ الإعرابِ في العربيّةِ مرَّ بمرحَلَتَينِ:

المرحلةُ الأولى: الوجودُ العمليُّ في كلامِ العرب:

لَا شَكَّ فِي أَنَّ العَرَبَ وَرِثُوا لُغَتَهُم مُعرَبةً، «فالإعرابُ ساميُّ الأصلِ» [71]، وهَذَا مَا أَثْبَتْنَاهُ مِنْ قبلُ، فَكَانَتِ الأجيالُ مِنَ العَربِ المُتقدِّمِينَ يَنطقُونَ بِالإعرَابِ بمُقتَضَى الفِطرَةِ والسَّليقَةِ، وَتَجري عَلَيهِ أَلْسِنتُهم فِي بَوادِيهم مُعرَبةً فَصِيحَةً لَا شَائبةَ فيها، فَلَمْ تَكُنِ اللُّغةُ جَامِدةً، بَلْ تَميَّزَتْ بِالحَيويَّةِ وَبِقَابِليَّةِ التَّصرُّفِ في الكَلَامِ مِنْ تَقديمٍ وَتَأْخِيرٍ ونَحوِهِمَا، وكُلُّ ذَلِكَ تبعاً للمعنَى ومَا يَقْتَضِيهِ السِّياقُ والمقامُ، وَكَانَتِ الحَركَاتُ الإعرَابيَّةُ عَلَى آخِرِ الكَلَامِ دَليلاً عَلَى الإعرَابِ الَّذي يُفْصِحُ عَمَّا تُرِيدُ، دُونَ أَنْ يُحَاوِلُوا تَعليلَ ذَلِكَ بِغَيرِ كَونِهَا لُغتَهُم، دُونَ مَعرِفَتِهم بِالمُصطَلَحَاتِ، وَقَد أَورَدَ الرَّاغِبُ الأصفَهانِيُّ قِصَصاً عَنْ أَسئِلَةٍ نَحْويَّةٍ أُجِيبَ عَنْهَا بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ بَعِيداً عَنِ المَعنَى الاصطِلَاحِيِّ، فَهَذَا رَجُلٌ قِيلَ لَهُ: هَلْ يَنْصَرِفُ إسْمَاعِيلُ؟ قَالَ نَعَم، إذَا صَلَّى العشاءَ فَمَا قُعُودُهُ؟!. وَقِيلَ لأَعرَابِيٍّ: أَتَجرُّ فِلَسطِينَ؟ فَقَالَ: إنِّي إذَاً لَقَوِيٌّ![72].

وَهَذَا يَقُودُ إلَى التَّأكِيدِ عَلَى أَنَّ كَلَامَ العَرَبِ وَرَدَ مُعرَباً، وَأَنَّ الإعرَابَ كَانَ مَوجُوداً لَدَى العَربِ بِشَكْلٍ عَمَلِيٍّ فِي كَلَامِهم، وَفِي ظِلِّ ذَلِكَ الوَضْعِ العَامِّ لَمْ يَكُنْ للعَرَبِ حَاجَةٌ إلَى عِلْمٍ، يَستَقْرِئُ لُغتَهم للوصُولِ إلَى قَواعِدَ تَحفظُ لُغَتَهم الّتِي يَنْطِقُونَ بِهَا سَليقَةً وَطَبعَاً، وَمَعَ تَغيُّرِ الظُّرُوفِ اشْتَدَّتِ الحَاجَةُ إلَى العِلمِ الّذِي يَضْبطُ اللِّسانَ، وَهَذَا يَقُودُنا إلَى المَرحَلَةِ الثَّانيةِ لنشأةِ الإعرَابِ.

المَرْحَلةُ الثَّانيةُ: مَرحَلَةُ الضَّبْطِ بالقَواعِدِ:

الإعْرَابُ الوَاقِعيُّ الفِعلِيُّ فِي كَلَامِ العَرَبِ وُجُودُهُ سَابِقٌ للقَواعِدِ التَّعليمِيَّةِ، فَالنّصُوصُ الشّعريَّةُ والنَّثريَّةُ السَّابقَةُ لأبِي الأسودِ والخَليلِ وسيبويهِ وغَيرِهم مُتقدِّمَةٌ عَلَى القَواعِدِ النَّظَريَّةِ الَّتِي استَنبَطَهَا العُلَمَاءُ، واستَخرَجُوهَا مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ ذِي المُستَوى الرَّفِيعِوَمِنْ تِلْكَ النُّصُوصِ.

وَهَكَذا، فَإنَّ «الإعرَابَ ظَاهِرةٌ مَوجُودَةٌ فِي العَربيَّةِ مُنذُ أَقْدَمِ العُصُورِ المَعرُوفَةِ، حَافَظَتْ عَلَيهَا؛ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ أَدَاةً طَيِّعَةً، تُسَاعِدُ المُتَكَلِّمَ؛ لِيتَّسِعَ فِي كَلَامِهِ مُعَبِّراً عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ مَعَانٍ»[73].

([71]) برجشتراسر، التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة، ص116.

([72]) انظر: الراغب الأصبهانيّ، حسين بن محمّد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، ص67.

([73]) عمايرة، خليل أحمد، في نحو اللُّغة وتراكيبها "منهج وتطبيق في الدّلالة"، ط 2، مؤسّسة علوم القرآن، دبي . الإمارات، 1410هـ . 1990م، ص150.

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الإِعْرَابَ قَدْ حَازَ اهتِمامَ النّحْوِيِّينَ، فَتَعدَّدَتْ تَعريفَاتُهُ؛ فَالأَوّلُ يَدُلُّ عَلَى الإِبَانَةِ وَالإِفْصَاحِ وَالإِيضَاحِ وَالإِظهَارِ، وَتَحسينِ الكَلَامِ وَتَجويدِهِ. وَهَذَا يَتَطَلَّبُ عَدَمَ اللَّحنِ، كي يَسلمَ الكَلَامُ مِنَ الفَسَادِ؛ فَيظهَرُ المَعنَى، وَيَتَوضَّحُ مُرادُ المُتكلِّمِ فِي مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الدّقّةِ فِي البيَانِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ الاستِقرَاءِ لِلمَعنَى اللُّغويِّ لِكَلِمَةِ الإعرابِ، فهو امتِدادٌ للمدلُولِ المِعْجَمِيِّ، وَهو المُتَدَاوَلُ فِي الآثَارِ وَأَقْوَالِ المُتَقَدِّمِينَ مِنَ الصّحَابَةِ فِي الحَثِّ عَلَى إعرَابِ القُرآنِ.

والثّانِي: مَا ذَكَرَتْهُ المَصَادِرُ النَّحْويَّةُ مِنْ تَعريفٍ لَفظِيٍّ، وآخرَ مَعنويٍّ، وَهَذَا الجَانِبُ قَسيمُ البناءِ.

والثّالِث: الإعرَابُ بِمَعنَاهُ الوَاسِعُ؛ وَهو التَّحلِيلُ النّحْويُّ للنّصِّ الرّفِيعِ بِبَيانِ العَلَاقَةِ اللفظيَّةِ وَالمَعنَويَّةِ بينَ أَجْزَاءِ الجُمْلَةِ فِيهَ، فَهو الإعرَابُ بِمَعنَاهُ البَعيدِ عَنَ التّضييقِ بِحَرَكَةٍ إعرَابِيَّةٍ، وَإِنَّمَا يَضمُّ مُختَلَفَ المُستَوياتِ؛ النَّحْويَّةِ وَالصَّرفِيَّةِ واللُّغويَّةِ والصّوتيَّةِ.

فَقَدْ شَرَعَ الغَيورُونَ عَلَى لُغَتِهم يَضَعونَ قَواعِدَ الإعرَابِ بِمَعنَاهُ الاصطِلَاحِيِّ؛ إِذْ أَصْبحَ ذَا مَدلُولٍ نَحْويٍّ ضَيّقٍ، يُقصَدُ بِهِ الحَركَاتُ الَّتِي تَلحَقُ أَوَاخِرَ الأَلْفَاظِ، فَأَصبحَ بِمَعنَى ضَبْطِ آخرِ الكَلمةِ علَى الوَجهِ العَربيِّ الصّحِيحِ، وارتَبَطَ ظُهورُ هَذَا المَعنَى بعَملِ أَبِي الأسود الدّؤليّ الّذِي قَالَ: «رَأَيتُ أَنَّ أَبْدَأَ بِإعَرابِ القُرآنِ» [74]، فَضَبَطَ آخرَ الكلماتِ من القرآنِ الكريمِ.

عملُ أَبِي الأسودِ الدّؤليّ:

لقدْ قَدَّمَ أَبُو الأسودِ عَمَلاً حَفِظَ بِهِ للعربيَّةِ وجودَهَا، وكَانَ الخطوةَ الأولَى فِي النَّحو، فهو لمْ يُغيِّرِ الأشكالَ المَعروفةَ فِي النُّطقِ والتَّعبيرِ، وإنَّمَا أَحَالَ تِلكَ الأشكالَ والنَّماذِجَ إِلَى قواعدَ خاصَّةٍ بالنُّطقِ، تُمَكِّنُ مَنْ ضَعُفَتْ سليقتُهُ بعدَ مُخَالطَتِهِ الأعَاجِمَ أو كَانَ أَعجَمِيّاً مِنْ تَرَسُّمِ مَبْدَأ، يُمَكِّنُهُ مِنْ مُجَانَبةِ الخطأ والابتعادِ عَنِ اللَّحنِ [75]، فعملُهُ لَمْ يَكُنْ بِدَعاً غَريباً عَنِ اللُّغةِ، وإنَّمَا هُو مُحافظَةٌ عَلَى النُّظُمِ اللُّغويَّةِ الّتِي كَانَتْ يُتعَامَلُ بِهَا قَبلَ اللَّحْنِ، إذِ« استنبطَ مِنْ كَلامِ العَربِ ضوابطَ ثابتةً، كَانَتْ أساسَ عملِهِ فِي توزيعِ الرّفعِ والنّصبِ والجرِّ» [76]، وهذهِ الضّوابطُ و«الطُّرقُ الخَاصّةُ لِلأداءِ فِي اللُّغةِ العَربيَّةِ قد التزمَتْ باطِّرادٍ في تراكيبِها وأساليبِها، ومرنَتْ عليها ألسنةُ العربِ، وتمَكَّنَتْ مِنْ طبائعِهم قبلَ أَنْ تُوضَعَ لَها القواعِدُ النَّحويَّةُ المُجرَّدَةُ وضْعاً عِلمِيّاً، وتدرسَ دراسةً مُستقلَّةً؛ لتُعرفَ وتُحتَذى»[77].

وبِذلكَ يَكُونُ أبو الأسودِ قدْ مَهَّدَ الطّريقَ لِمَنْ بعدَهُ فِي اسْتِكمالِ مَشروعِ بناءِ صَرْحِ النّحو الشامخِ، «فالحركةُ التأليفيّةُ في النحوِ العربيِّ واللغةِ بدأتْ في القرنِ الأوّلِ الهجريّ، وهي حركةٌ مُبكّرةٌ بالنسبةِ إلى الحركاتِ الأُخرى في المجالاتِ العلميَّةِ المختلفةِ»[78]. وهَذَا يُبطِلُ مَا ذَهبَ إليهِ المُستَشرِقُ "بروكلمان" الذي عَدَّ مِنْ قَبيلِ الأساطِيرِ دراساتِ أَبِي الأسودِ الدّؤليِّ وتلاميذِهِ المَزعُومِينَ[79].

طريقةُ أبِي الأسود:

اعتمدَتْ طريقةُ أَبِي الأسودِ فِي نقطِ المَصاحِفِ عَلَى التَّمييزِ بينَ الحَركاتِ القصيرةِ فِي أواخِرِ الكلمِ، وهي الحركاتُ الإعرابيّةُ. وهذهِ العمليَّةُتُظهِرُ تَغيُّرَ أواخِرِ الكَلماتِ تِبعاً لِتغيُّرِ مَواقِعِها، وهوموضوعُالأهمُّ في النَّحوِ عندَ عُلماءِ

([74]) ابن الأنباريّ، كمال الدّين أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح. إبراهيم السّامرائيّ، ط 3، مكتبة المنار، الزّرقاء – الأردن، 1405 هـ - 1985 م، ص20.

([75]) علامة، طلال، تطوّر النّحو العربيّ في مدرستي البصرة والكوفة، ط 1، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت - لبنان، 1993، ص43.

([76]) المبارك، مازن، النّحو العربيّ العلّة النحويّة نشأتها وتطورها، ط3، دار الفكر، لبنان- بيروت، 1401هـ- 1981م، ص32.

([77]) حسن، عبّاس، اللُّغة والنّحو بين القديم والحديث، د.ط، دار المعارف، القاهرة . مصر، 1966م، ص78.

(78)مكرم، عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النّحو العربيّ، مؤسّسة الوحدة للنّشر والتّوزيع، الكويت، 1977م،ص76.

([79]) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربيّ، ص123.

العربيَّةِ. فقدْ رَوى السِّيرافِيُّ«أَنَّ زيّاداً بُعِثَ إلى أبِي الأسودِ قالَ لَهُ: اعمَلْ شَيئاً تَكونُ فيهِ إماماً، يَنتفِعُ النَّاسُ بِهِ، وتُعربُ بِهِ كِتابَ اللهِ، فاستَعفَاهُ مِنْ ذَلكَ، حتَّى سَمِعَ أَبُو الأسودِ قارِئاً، يَقرَأ:"... أَنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المُشرِكِينَ ورسولِه..." [80]، فَقالَ: مَا كُنْتَ أَظُنُّ أَنَّ أمرَ النَّاسِ صَارَ إلَى هَذا، فرَجعَ إلى زيّادٍ، فَقالَ: أنَا أفعلُ مَا أَمَرَ بِهِ الأميرُ، فلْيُبلِّغْنِي كاتِبَاً لقناً، يَفْعلُ مَا أقولُ، فأتَى بِكاتبٍ مَنْ عبدِ القيسِ، فلمْ يرضَهُ، فأُتِي بآخرَ –قالَ أَبُو العَبّاس: أحسبُهُ منهم–، فقَالَ لَهُ أبو الأسودِ: إذا رأيتَنِي قدْ فتحْتُ فمِي بالحرفِ، فانقطْ نقطةً فوقَهُ عَلى أعلاهُ، فإنْ ضممْتُ فمِي فانقطْ نقطةً بينَ يَديِّ الحرفِ، وإنْ كسرْتُ فاجعلِ النّقطةَ تحتَ الحرفِ، فإنْ أتبعْتُ شيئاً مِن ذَلكَ غنّةً فاجعلْ مَكانَ النُّقطةِ نقطتينِ، فهذهِ نقطُ أبِي الأسودِ»[81]، وينقلُ الدَّانِي عن محمَّدِ بنِ يزيدَ المبرّدِ أنَّهُ «لمَّا وضعَ أبو الأسودِ الدّؤليِّ النَّحو قَالَ: ابغُوا لِي رَجُلاً، وليكنْ لَقِناً، فطُلِبَ الرَّجلُ، فَلمْ يُوجَدْ إلّا فِي عبدِ القيسِ، فقالَ أبو الأسود: إذَا رأيتَنِي لَفظْتُ بالحرفِ، فضممْتُ شَفتِيَّ، فاجعلْ أمامَ الحرفِ نقطةً، فإذَا ضممْتُ شَفتِيّ بِغُنَّةٍ فاجعلْ نُقطتَينِ، فإذَا رأيتَنِي قدْ كَسرْتُ شَفتَيَّ فاجعلْ أسفلَ الحرفِ نقطةً، فإذَا كسرْتُ شَفتَيَّ بِغنَّةٍ فاجعلْ نَقطتَينِ، فإذَا رأيْتُ قدْ فتحْتُ شفتَيَّ فاجعلْ عَلَى الحرفِ نقطةً، فإذا فتحْتُ شفتَيَّ بِغُنَّةٍ فاجعلْ فوقَ الحرفِ نُقطتَينِ»[82].

عمل الخليل بن أحمد الفراهيديّ:

بعدَ أنْ شاعَ استِعمَالُ نقطِ الإعرابِ ونقطِ الإعجامِ فِي المَصاحِفِ–التي كانَتْ على هيئةٍ واحدةٍ، ولا تُمَيَّزُ إلّا باللُّونِ–كَانَ عسيراً على نُسّاخِ المَصاحِفِ استعمالَ النَّقطِ فِي ضَبْطِ الكَلماتِ؛ إذْ هي بِحاجَةٍ إلَى مدادَينِ وقلمَينِ: أحدهما لِرسْمِ الحُروفِ، والآخر لِنقطِ الحَركاتِ–كَمَا مَرَّ سَابِقَاً–وهَذَا مَا جَعَلَ أَمْرُ النَّاسِ سَائِرَاً إلَى اضطِرابٍ لاشتِباهِ الإعجَامِ بنقطِ الإعرابِ، حيثُ استشرَتْ ظَاهِرةُ التَّصحيفِ، وتَطايرَ شررُهَا مُنذِرَاً بِالعاقِبَةِ الوخيمةِ، فالحاجَةُ إلى التَّغييرِ أمرٌ لا بُدَّ مِنهُ، وهذا التَّغييرُ إمَّا أنْ يَكُونَ فِي نقطِ الإعرابِ، وإمَّا أنْ يَكونَ فِي نقطِ الإعجامِ، ومِمَّا يَنبَغِي الانتِبَاهُ لَهُ أنَّ نقطَ الإعجامِ كُتِبَ كَرَسْمِ الحَرْفِ، فصارَ مِنْ بنيةِ الحرفِ، فَهو جُزْءٌ مِنْهُ.

فِي هَذِهِ المَرحلةِ وَجَدَ أَهْلُ اللُّغةِ أَنَّ صَنِيعَ السَّابِقِينَ بِمثَابَةِ الأساسِ الَّذي سَيُشَادُ عَلَيهِ صَرحُ النَّحو لاحِقاً، وإنْ كَانَ حَلاً آنيّاً، وحينَهَا شَرَعَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهِيديّ يَبْحَثُ، فاهتَدَى بعبقريَّتِهِ إلَى إيجَادِ الحَلِّ.

وتَكَادُ تَتَّفِقُ الرِّوايَاتُ عَلَى أَنَّ الخَليلَ هو صاحبُ الإنجَازِ، فقدْ أوردَ الدَّانِي فِي المُحكَمِ أَنَّ «الشَّكلاَلذِي فِي الكتابِ مِنْ عَمَلِ الخَليلِ، وهو مَأخوذٌ مِنْ صُورِ الحُروفِ؛ فَالضَّمَّةُ واوٌ صغيرةُ الصُّورةِ فِي أعلَى الحَرفِ، لِئَلّا تَلْتَبِسَ بِالواوِ المَكْتُوبَةِ، والكسرةُ ياءٌ تَحتَ الحَرفِ، والفتحةُ ألفٌ مَبطوحَةٌ فَوقَ الحَرفِ» [83]، وكَذَلِكَ نَصَّ أغلبُ المُحدَثِينَ مِنْ مِثْلِ: محمّد حماسة[84]، وغانم قدوري[85]، وأحمد سليمان ياقوت الذي رجَّحَ ذَلِكَ:« لأنَّ هذهِ الرُّموزَ مَأخُوذَةٌ مِنْ صُورِ حُروفِ العِلَّةِ أو حُروفِ المَدِّ "الألف، والواو، والياء"، وهِي تُشَابِهُ الحَركَاتِ القِصارَ إلّا أنَّ هذهِ الأخيرةَ أقصرُ مِنْهَا مِنْ نَاحِيةِ الاستِغرَاقِ الصَّوتِيِّ، أي أنَّ اختيارَ هذهِ الرُّموزِ مِنْ دُونِ غيرِهَا مَبنِيٌّ عَلَى أَسَاسٍ صَوتِيٍّ، فَإذَا نَظرْنَا إلَى قَولِ

([80]) بجرّ رسولِهِ، والصّواب ورسولُهُ بالرّفع. سورة التّوبة، الآية(3).

([81]) السّيرافيّ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، أخبار النّحويّين البصريّين، تح. محمّد إبراهيم البنّا، ط 1 ، دار الاعتصام ، 1405 هـ – 1985 م، ص34–35.

([82])الدّانيّ، عثمان بن سعيد، المحكم في نقط المصاحف، تحـ.جمال الدّين محمّد شرف، ط 1، دار الصّحابة للتّراث، طنطا، 1428هـ . 2008م، ص17.

([83]) المرجع السابق، ص18.

([84]) انظر:: عبد اللّطيف، محمّد حماسة، العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث، ص 136.

([85]) انظر: الحمد، غانم قدوري، رسم المصحف، ط 1، منشورات اللّجنة الوطنيّة، بغداد . العراق، 1402هـ– 1982م، ص506.

الخَليلِ " فالفتحةُ مِنَ الألفِ، والكسرةُ مِنَ الياء، والضّمّةُ مِنَ الواو، فكُلُّ واحدةٍ شيءٌ مِمَّا ذكَرْتُ لَكَ" [86]، عَرْفَنَا أَنَّهُ أدرَكَ العَلَاقةَ الصَّوتيَّةَ بَينَ الاثنَينِ؛ حَركَاتِ المَدِّ والحَركاتِ القِصارِ، فَوضَعَ رُمُوزَ الأخيرةِ مُشْتَقةً مِنْ رُموزِ الأولى، هذَهِ واحِدةٌ، وأُخْرَى أَنَّ التَّسلسلَ التَّاريخِيَّ يُرجِّحُ أنَّ الخَليلَ هُو وَاضِعُ رُمُوزِ تِلْكَ الحَركاتِ»[87].

فِي حِين يَرَى جُرْجِي زِيدَانأَنَّ صُورَ الحَرَكَاتِ واضعُها مَجهولٌ، وَكَذلِكَ الزَّمنُ، وإنْ كَانَ يُرجَّحُ أَنَّهُ وُضِعَتْ فِي القُرونِ الوسْطَى لِلإسْلَامِ[88].

وَمِمَّا يُلْحَظُ فِي عمَلِهِ أَنَّ الخَليلَ استَفادَ مِنْ عَمَلِ أَبِي الأسودِ وطلبتِهِ، فَكَانَ عَملُهم أَسَاسَاً لوضعِ الحَركَاتِ الإعرابيَّةِ؛ إذْ نَظَرَ الخَليلُ فِيمَا تَحقَّقَ مِنْ مَباحِثَ لعُلماءِ عَصْرِهِ وسَابِقِيهِ «فَكَانَ الغايةَ فِي استِخراجِ مَسَائِلِ النَّحْوِ وتَصحِيحِ القِياسِ فِيهِ» [89]، إذْ خَصَّصَ لِكُلِّ حَركَةٍ عَلَامةً، خِلافَاً لنقطِ أَبِي الأسودِ المُتَشابِهةِ، والتِي تَحتاجُ إلَى اللَّونِ للتَّمييزِ بينَ نقطِ الإعرابِ و نَقطِ الإعجَامِ.

فالحَاصِلُ أَنَّ الخَليلَ بدأَ مِنْ حيثُ انتَهى مَنْ سبقَهُ فِي هَذهِ المَسألةِ، وكوَّنَ صُورةً عَامَّةً مِنْ ذَلكَ الإصلَاحِ، ثُمَّ سَعَى إلَى مُحَاولَةِ سدِّ الثَّغراتِ وتَكْمِيلِ النَّقائصِ، «ثُمَّ قَامَ بعملِهِ المعروفِ–كَمَا يَرَى الدّكتور عبد العال سالم مكرم–، فوضْعُ الشَّكْلِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الّتِي نعرفُها اليومَ، فَجَعلَ للفتحةِ ألفاً صغيرةً مُضطجِعةً فَوقَ الحَرفِ، وللكسْرةِ رأسُ ياءٍ صغيرةٍ تحتَهُ، وللضّمَّةِ واو صغيرةٌ فوقَهُ، فإذَا كَانَ الحرفُ المُحرّكُ مُنوَّناً كُرِّرَ الحَرفُ الصّغيرُ، فَكتبَ مَرَّتَينِ فَوقَ الحَرفِ أو تَحتَهُ، ذَلكَ لأنَّ الفتحةَ جُزءٌ مِنَ الألِفِ، والكسرةَ جُزءٌ مِنَ الياءِ، والضّمّةَ جُزءٌ مِنَ الواو» [90]. فتقصيرُ الحرفِ عندَ الخليلِ يدلُّ على العلاقةِ التي كانَ يَعِيهَا عُلَمَاؤُنَا القُدَامى القَائِمةِ بَينَ الحَركَاتِ القَصيرةِ والحَركَاتِ الطويلةِ. ولكنَّهم فِي هَذِهِ المَرحلةِ لَمْ يُطلِقُوا اسمَ حَرَكَاتٍ عَلَيهَا، فَقَد وَرَدَتْ عِنْدَ الخَليلِ –كَمَا سَبَقَ– بأسمَائِها. ووردتِ كلمةُ الحَركَاتِ عِندَ سيبويهِ فِي أَثْنَاءِ مُعَالَجتِهِ لِلأبْوابِ الصّرفِيَّةِ والنّحْوِيَّةِ؛ وذَلِكَ مِثْلُ قَولِهِ فِي بَابِ الإدغامِ: « وَكُلَّما تَوالَتِ الحَركَاتُ أَكْثَرَ كَانَ الإدغامُ أَحْسَنَ. وَإِنْ شِئْتَ بنيتَ» [91]. وقدْ بَيَّنَ سيبويهِ فِي بَابِ مَجارِي أواخِرِ الكَلِمِ مِنَ العربيَّةِ ألقابَ الإعرابِ والبِناءِ، مَعَ أَنَّ شَكْلَ الحركةِ لا تَختَلِفُ، فإذَا لَزِمَتْ آخرَ الحَرْفِ دُونَ تَغييرٍ كَانَتْ علامةَ بناءٍ، وإذا تغيَّرَتْ تبِعاً لِتغيُّرِ العَامِلِ، فهي علامَةُ إعرابٍ، يقول: «وهي–أواخر الكلم– تَجري عَلَى ثمانيةِ مَجَارٍ :عَلَى النَّصْبِ والجَرِّ والرَّفْعِ والجَزْمِ، والفَتْحِ والضَّمِّ والكسْرِ والوقْفِ، وهذهِ المَجَارِي الثَّمانيّةُ يَجمَعُهُنَّ فِي اللَّفْظِ أربعةُ أضرُبٍ: فالنَّصبُ والفتْحُ فِي اللَّفْظِ ضَرْبٌ واحِدٌ، والجَرُّ والكسْرُ فيهِ ضَرْبٌ واحِدٌ، وكذلكَ الرَّفْعُ والضَّمُّ، والجَزْمُ والوقْفُ، وإنَّمَا ذَكَرْتُ لكَ ثمانيةَ مَجَارٍ؛ لأفْرُقَ بينَ مَا يدخلُهُ ضَرْبٌ مِنْ هَذِهِ الأربعةِ لِمَا يُحْدِثُ فيهِ العامِلُ، وليسَ شيءٌ مِنْهَا إلاّ وهو يَزُولُ عَنْهُ، وبين مَا يُبنَى عليهِ الحَرفُ بناءً لا يَزُولُ عنهُ لِغيرِ شيءٍ، أَحدثَ ذلكَ فيهِ مِنَ العَوامِلِ، الَّتِي لكُلِّ عامِلٍ منهَا ضَربٌ مِنَ اللَّفظِ فِي الحَرْفِ، وذِلكَ الحَرفُ حَرْفُ الإعرابِ، فالرَّفْعُ والجَرُّ والنَّصْبُ والجَزْمُ لِحروفِ الإعرابِ»[92].

فحَركاتُ الإعرابِ أصواتٌ تُنطَقُ معَ حروفِ أواخرِ الكلمِ المُعَربِ، فحينَ وُضِعَتْ رموزُها وُضِعَتْ منذُ البدءِ فوقَ الحرفِ أو تحتَه، في إشارةِ أبي الأسودِ الدؤلي لكاتبِه. وعندَما استبدلَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديّ بنقطِ الإعرابِ حركاتِ

([86]) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح. عبد السلام هارون، ج4، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت،ص241 – 242.

([87]) ظاهرة الإعراب في النّحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ص56.

([88]) ينظر: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللُّغة العَربيّة، ج2،ص80.

([89]) أخبار النّحويين البصريّين، ص54.

([90]) مكرم، عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحويّة، د.ط، دار المعارف، مصر– القاهرة، 1384 هـ – 1965 م، ص266.

([91]) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، ج4،ص437.

([92]) المرجع السابق،ج1، ص13.

الإعرابِ؛ الفتحةَ والضمةَ والكسرةَ، وُضِعَتْ في مواضِعِ أبي الأسود. فنتيَجةُ عملِ الخليلِ هو تَغييرُ الشَّكلِ مِنَ النَّقطِ إلَى حُروفٍ صَغيرةٍ، ويَكونُ بِذلكَ قَضَى عَلَى مُشكِلَةِ التَّصحيفِ، وأَعطَى الحلَّ للَّحنِ، الَّذي أقضَّ مَضْجَعَ أولِي الغَيرةِ على القُرآنِ واللُّغة.

ولمْ يتمكّنِ الإعرابُ بمفهومِهِ الضيّقِ أنْ يشفي نهمَ العلماءِ في بحثِهم عَنِ المَعنَى، وَفِي حِفَاظِهم عَلَى اللُّغَةِ، فَأَخَذَ الإعرابُ مَعنَاهُ الاصْطِلَاحِيَّ الوَاسعَ؛ إِذْ أَصْبَحتْ تَدلُّ كَلِمَةُ الإعرَابِ عَلَى مَا تَدلُّ عَلَيهِ كَلَمةُ النَّحْوِ، وصارَ الإعرابُ هو النحوَ، فمِنَ الإجْحَافِ بِحَقِّ الإعرَابِ أَنْ يُنظَرَ إليهِ عَلَى أَنَّهُ أَثَرٌ نَتَجَ عَنْ عَامِلٍ مُؤثِّرٍ، وبَطلَ بِبُطْلَانِهِ، وَأَنْ يُكْتَفَى بِجُدُودِهِ الظَّاهِرةِ، دُوْنَ إِمْعَانِ النَّظْرِ فِي الإِعرَابِ بِمَفْهُومِهِ الواسِعِ، فَهي نَظْرةٌ بَلغَتْ بِالإعرابِ مِبلَغَ الجُمُودِ، وَفِي هَذَا فَصْلٌ عَنْ غَيرِهِ مِنَ العُلُومِ العَرَبيَّةِ، وَهُو بِهَذا المَعنَى الضيّقِ عَامِلٌ لِتَفكِيكِ الجُمْلَةِ إِلَى قَوالبَ ميتةٍ لَا حَيَاةَ فِيهَا، كَمَا تَحْصُرُهُ بِزاويةٍ ضَيّقةٍ، عَديمةِ الفَاعِليَّةِ. وَلَا يُمكِنُ لَهُ بِهَذَا التّضييقِ أَنْ يُفَسِّرَ لَنَا تُرَاثاً بُنِي عَلَى أَسَاسِ الوُصُولِ إِلَى المَعنَى، وَهَذَا مَا أَكّدَهُ الكثيرُ مِنَ القُدماءِ، انْطِلَاقاً مِن أَنَّ «الإعرابَ دَالٌّ عَلَى المَعَانِي» [93]، وَهو « فَرْعُ المَعنَى» [94]، وَتَابَعَ ذَلِكَ الكَثيرُ مِنَ المُحْدَثِين، ويَجْمَعُ ذَلِكَ قَولُ الدّكتور محمّد حماسة عبد اللطيف الّذِي يَرَى أَنَّ «مُصطَلَحَ الإعْرَابِ يُرادُ بِهِ أمرانِ في نُصُوصِ تُراثِنَا النَّحْويِّ؛ أَوَّلُهما: مَا يُرادِفُ عِلْمَ النَّحْوِ، فَهو إذاً أَعمُّ منَ العَلَامَاتِ الإعرابيَّةِ وَحَدَها، وَهو بِهَذَا الفَهمِ يَصْلحُ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ: إنَّهُ يُميِّزُ بَينَ المَعَانِي، مَعَ مُراعَاةِ أَنَّ المقصودَ بالمعاني هُنَا هُو المَعَانِي الوَظيفيَّةُ فِي الجُملةِ، مِنْ فَاعليَّةٍ ومَفعُوليّةٍ وغيرِهِمَا؛ لأنَّ الإعرَابَ إذاً مَجمُوعَةُ القَرائنِ الَّتِي تَتَضَافَرُ مَعاً مِنْ أَجْلِ تَمَاسُكِ الجُملةِ، وأدائِها لِوظِيفَتِها، وَهَذَا مَا عَنَاهُ عَبدُ القاهرِ الجرجانيُّ حَينَ قَالَ: إنَّ عِلْمَ النظْمِ" يَنْتَقِي لَكَ مِنْ عِلْمِ الإعرَابِ خالصَهُ ولُبَّهُ"[95]. ثانيهما: العلَامَاتُ الإعرابيَّةُ، وَهو إذاً يُعَدُّ قَرينةً واحدةً من مجموعةِ القرائنِ اللفظيّةِ في الجملةِ، ويتّضحُ ذلكَ في كلامِ ابنِ يعيشَ، إذْ يقولُ: "والإعرابُ الإبانةُ عن المعاني باختلافِ أواخرِ الكلم"[96].

وهُنَا تَكْمُنُ قِيمَةُ الإعرَابِفِي العَربيَّةِ فِي أَنَّهُ إِبَانَةٌ عَنِ المَعانِي الوَظيفيَّةِ الَّتِي تُسْهِمُ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ فِي فَهمِ المَعَانِي القَصديَّةِ العامَّةِ للجُمَلِ أَو التَّراكيبِ. وبهذا يتَجَاوزُ الإعْرَابُ كَوْنَهُ مُجرَّدَ حَركَاتٍ أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ إِلَى رِحَابِ تَشْكِيلِ المَعَانِي، والدّلَالَاتِ عَلَى مُسْتَوى التّركِيبِ وَعَلَى مُستَوى النّصِّ، دُونَ النَّظَرِ إِلَيهِ عَلَى أَنَّهُ هو النَّحْو.

وَمَا يَنبَغِي أَنْ يُشيرَ إليهِ البَحثُ بألّا يُفْهَمَ «أَنَّ هُنَاكَ تَمَاثُلاً تَامّاً بَينَ اللُّغاتِ السّاميةِ فِي ظَاهِرةِ الإعرابِ، بَلْ يَكفينَا هُنَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الظَّاهِرةُ مِنَ الخَصَائِصِ القَديمَةِ لِهذِهِ اللُّغاتِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ اللُّغاتُ قَدْ فَقَدَتْ هَذِهِ الظاهِرةَ، وَلَم يَبقَ مِنْهَا إِلّا آثَارٌ ضَئيلةٌ تَدلُّ عَلَى بِدائِيّتِهَا، فَلَيسَ ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّ العَرَبيَّةَ فَقَدَتْ هَذِهِ الظَّاهِرةَ، أَو يَنْبَغِي أَنْ تَفقدَهَا؛ إِذْ لِكُلِّ لُغَةٍ ظُرُوفُهَا الخَاصَّةُ الَّتِي تَحكُمُ بَقَاءَ ظَاهِرةٍ مَا وتطوّرها، أو فَنَاءَ ظَاهِرَةٍ أُخرَى» [97].

ومِنْ هُنا، فَقَدْ حَاوَلَ البَحْثُ تَوضِيحَ أَنَّ الإعرَابَ مِنْ أَقْدَمِ السّمَاتِ اللُّغويَّةِ فِي اللُّغاتِ الساميةِ، ومِنْهَا العَربيَّةُ، وَأَنَّ مُعظَمَ اللُّغاتِ الساميةِ قَدْ فقدَتِ الإعرَابَ بِاستِثنَاءِ بَقَايَا مِنْهَا تَرجِعُ إِلَى مَرحلَةٍ لُغَويَّةٍ سَابِقَةٍ، فَهُنَاكَ دَلَائِلُ عَلَى أَنَّ الإعرَابَ الكاملَ الّذي احتفظَتْ بِهِ العربيَّةُ هو امتِدَادٌ لِنِظَامٍ إعرَابِيٍّ كَانَ مَوجُوداً فِي اللُّغَاتِ الساميةِ الّتِي تَفَرَّعَتْ عنِ

([93])الزّجاجيّ، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تح. مازن المبارك، ط 6، دار النفائس، بيروت– لبنان، 1416هـ – 1996م، ص72.

([94])الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد بن عبد اللّه، البُرهان في علوم القرآن، تحـ.محمّد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ط2، دار المعرفة، بيروت . لبنان، 1391هـ . 1972م، ص302.

([95]) انظر: الجرجانيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجازِ في علم المعاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ط 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص42.

([96]) انظر: ابن يعيش، موفّق الدّين يعيش، شرح المفصّل، مج1، ج1، مكتبة المتنبيّ، القاهرة، د. ت، ص72.

([97]) عبد اللّطيف، محمّد حماسة، العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث، ص 128.

اللغةِ الأمِّ، وهي اللغةُ الوَحِيَدَةُ الَّتِي بَقِيتْ حَيَّةً، فأيَّةُ دراسةٍ للمقارنةِ لابُدَّ أَنْ تَبْدَأَ حَقّاً مِنَ العَربيَّةِ. وَثبَتَ مِنَ المُقَارناتِ أَنَّ النَّظَامَ الإعرابيَّ الساميَّ لبعضِ هَذهِ اللُّغاتِ خَصَّ الضمَّةَ بالإسنادِ، والفتحةَ بالمفعوليَّةِ، والكسرةَ بالإضافةِ، وهَذَا مَا أَدْرَكَهُ النَّحْويُّونَ العَربُ فِي لُغتِهم، فَقَالُوا إنَّ الرفْعَ علَمُ الإسنادِ، والنصبَ علَمُ المفعوليَّةِ، والجرَّ علَمُ الإضافةِ.

كَمَا أَنَّ اللّغَةَ العَربيَّةَ نَشأتْ، وتَطوَّرتْ فِي مَوطِنِ اللُّغةِ الأمِّ، وَلَم تَدخلْ فِي صِرَاعٍ لُغويٍّ مَعَ لُغَاتٍ أُخْرَى، كَمَا أَنَّ مَكَانَهَا الجُغْرَافِيَّ وانْعِزَالَها النسبيَّ سَاعَدَ عَلَى مُحَافَظَتِهَا عَلَى خَواصِّها القَدِيمَةِ، بَعِيداً عَنْ كُلِّ المُؤثِّراتِ الخَارِجِيَّةِ.

الاستِنتَاجَاتُ وَالتوصِيَاتُ

1–أَثْبَتَ البَحْثُ قِدمَ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ، وَلَكِنَّ تَارِيخَها قَبلَ الإسلامِ مِنَ الأُمُورِ غَيرِ اليقينيَّةِ.

2–اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي المَوطنِ الأَصليِّ للسّاميينَ، وتعدَّدَتْ إجاباتُهم فِي هَذَا الصدَدِ، ولَمْ يَصلُوا بَعدُ بِشأنِهِ إِلَى رَأْيٍ يَقِينِيٍّ.

3–رَجَّحَ كَثيرٌ مِنَ الدّارسين أَنْ تَكُونَ الجَزيرةُ العربيَّةُ هي المَوطِنَ الأَصلِيَّ لِكُلِّ الشعُوبِ الساميةِ، وَمِنْ نَتَائِجِ ذَلِكَ ظُهورُ أصواتٍ تَدعُو إِلَى تَغييرِ اسْمِها إِلَى اللُّغَاتِ الجَزريَّةِ؛ لأنَّها ارتَبَطَتْ بصورةٍ واضحةٍ بِمصطلحٍ لَا يَخْدُمُ الأُمَّةَ العربيَّةَ فِي مَاضيها وحَاضرِها ومستقبلِها، فَهذهِ التَّسميةُ مَبنيَّةٌ عَلَى أَسَاسٍ غَير عِلْمِيٍّ.

4– يَرَى العُلَمَاءُ أَنَّ صِلَاتِ القُرْبَى والصّفَاتِ الجَامِعَةَ بَينَ اللُّغَاتِ الساميةِ كَثِيرةٌ وَوَاضِحَةٌ؛ فَاتِّصَالُهم بِبعضِهم ظَلَّ مُتَواصِلاً مِنْ خِلَالِ الهِجْرَاتِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَنَاطِقَ لَيْسَتْ شَاسِعَةً مُتَبَاعِدَةً.

5–الفَهمُ التَّاريخيُّ لِعَلاقَةِ العَربيَّةِ بالساميةِ ظَهَرَتْ مِنَالعَصْرِ الجَاهِلِيِّ مِنْ خِلَالِالتّفاعُلِ مَعَ الكِتَابِ المُقدَّسِ، وبِأَشْكَالٍ مُتعدِّدةٍ في الإسلامِ.

6– قَضِيّةُ اللُّغاتِ الساميةِ لمْ تتلْ عندَ العَرَبِ القُدَماءِ الاهتِمامِ اللّازمَ، ولكِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي مَعرفَتَهُم بَعْضَ تِلْكَ اللغَاتِ، وَلَو كَانَتْ مَعرِفَةً سَطحِيَّةً عِنْدَ بعضِهم، أو انتباهَهُم إِلَى التشَابُهِ بَيْنَ بَعْضِ اللغَاتِ واللغَةِ العربيَةِ، وَهَذا مُعَبِّرٌ عَنِ الفَهْمِ التاريخِيِّ لعلاقَةِ العربيَّةِ بالسَّاميةِ، وإنْ لَم يَنْتُجْ عَنْ ذَلِكَ دِرَاسَاتٌ يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ مِنْهَا.

7–يَبْدُو أَنَّ الدَّارسِينَ العَرَبَ اتَّخَذُوا مِنَ الحَرَكَاتِ الإعرابيَّةِ دَلِيلاً عَلَى وُجُودِ الإعرابِ فِيبَعْضِ اللُّغاتِ الساميةِ.

8–الإعرابُ الواقعيُّ الفعليُّ فِي كَلَامِ العَرَبِ سَابِقٌ للقواعِدِ التَّعليميَّةِ النظريّةِ التي استنبطَها العلماءُ واسْتَخْرَجُوهَا مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ، ومِن هذهِ النصوصِ،مُتجاوِزاً كونَهُ مُجرَّدَ حَرَكَاتٍ أَوَاخِرِ الكَلِمَاتِ إِلَى رِحَابِ تَشكيلِ المَعَانِي، والدّلَالَاتِ علَى مُستَوى التّرْكِيبِ وَعَلَى مُسْتوى النّصِّ.

9– الإعرابُ مِنْ أَقدمِ السماتِ اللّغويَّةِ في اللغاتِ الساميةِ، ومنها العربيَّةُ، وأنَّ معظمَ اللغاتِ الساميةِ قد فقدَتِ الإعرابَ باستثناءِ بقايا منها ترجعُ إلى مرحلةٍ لغويَّةٍ سابقةٍ، فهناكَ دلائلُ على أنَّ الإعرابَ الكاملَ الّذي احتفظَتْ بهِ العربيَّةُ هو امتدادٌ لنظامٍ إعرابيٍّ كانَ موجوداً في اللغاتِ الساميّةِ الّتي تفرَّعَتْ عنِ اللغةِ الأمِّ، وهي اللغةُ الوحيدةُ التي بقيت حيَّةً، فأيَّةُ دراسةٍ للمقارنةِ لابُدَّ أنْ تبدأَ حقاً من العربيَّةِ.

10– اللغةُ العربيَّةُ نشأتْ، وتطوَّرتْ في موطنِ اللغةِ الأمِّ، ولم تدخلْ في صراعٍ لغويٍّ مع لغاتٍ أخرى، كما أنَّ مكانَها الجغرافيَّ وانعزالَها النسبيَّ ساعدَ على مُحافظتِها على خواصِّها القديمةِ، بعيداً عن كلِّ المؤثِّراتِ الخارجيَّةِ.

المصادر والمراجع

1–آل ياسين، محمّد حسين، *أبحاث في تاريخ العربيّة ومصادرها*، ط1، عالم الكتب، 1417هـ– 1996م.

2– ابن الأنباريّ، كمال الدّين أبو البركات، *نزهة الألباء في طبقات الأدباء*، تح. إبراهيم السّامرائيّ، ط3، مكتبة المنار، الزّرقاء – الأردن، 1405 هـ – 1985 م.

3–الأنطاكي، محمّد، *دراسات في فقه اللغة*، ط4، دار الشرق العربيّ، بيروت، د.ت.

4– البخاريّ، محمّد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، ط 1، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، 1423هـ – 2002م.

5–براجشتراسر، *التّطوّر النّحويّ للّغةِ العربيّةِ*، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه. رمضان عبد التّواب، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1423هـ– 2003م.

6–بروكلمان، كارل، *تاريخ الأدب العربيّ*، تر: د. رمضان عبد التوّاب– د. يعقوب السيد بكر، ط 5، دار المعارف، القاهرة.

7– بروكلمان، كارل، *فقه اللغات السامية*، تر: رمضان عبد التوّاب، جامعة الرياض، 1397هـ– 1977م.

8– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، *البيان والتّبيين*، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، 1424هـ – 2003 م.

9– الجرجانيّ، عبد القاهر، *دلائل الإعجازِ في علم المعاني*، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة.

10– حجازي، أحمد عارف، *العربيّة واللغات السامية في المجتمع العربيّ القديم*، ط1، كلية دار العلوم– جامعة المنيا، 1994م.

11–حسن، عبّاس، *اللُّغة والنّحو بين القديم والحديث*، د.ط، دار المعارف، القاهرة – مصر، 1966م.

12– الحمد، غانم قدوري، *رسْم المصحف*، ط 1، منشورات اللّجنة الوطنيّة، بغداد – العراق، 1402هـ. 1982م.

13– أبو حيَّان، أثير الدين، *تفسير البحر المحيط*، تحـ. عبد الرزّاق المهدي، د.ط، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت– لبنان.

14– ابن دُريد، محمّد بن الحسن، *جَمْهَرة اللغة*، تحـ. د. رمزي مُنير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، 1987.

15–الرّازي، أحمد بن حمدان، *الزينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة*، علّق عليه. حُسين بن فيض الله الهمدانيّ، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء، 1415هـ – 1994م.

16– الراغب الأصبهانيّ، حسين بن محمّد، *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان.

17– الزّجاجيّ، أبو القاسم، *الإيضاح في علل النّحو*، تحـ. مازن المبارك، ط 6، دار النفائس، بيروت– لبنان، 1416هـ – 1996م.

18– الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد بن عبد اللّه، *البُرهان في علوم القرآن*، تحـ. محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1391هـ – 1972م.

19- زيدان، جرجي، *تاريخ آداب اللُّغة العَربيّة*، ط1، دار نوبليس، بيروت، 2003 - 2004، ص79.

20- السامرائيّ، إبراهيم، *الفعل زمانه وأبنيته*، ط3، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1403هـ - 1983م.

21- السامرائيّ، إبراهيم، *فقه اللغة المقارن*، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1983م.

22- سباتينوموسكاتي وآخرون، *مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن* ، تر: د. مهدي المخزومي – د. عبد الجبار المطلبيّ، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1414هـ - 1993م.

23- ابن سعد، محمّد، *كتاب الطبقات الكبير* ، تحـ. د. علي محمّد عمر، ج 9، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ- 2001م.

24-ابنسلام،محمّد، *طبقات فحول الشعراء*، تحـ : محمود محمّد شاكر،دار المدنيّ، جدّة.

25- سيبويه، عمرو بن عثمان، *الكتاب*، تحـ. عبد السلام هارون، د.ط، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

26-السّيرافيّ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، *أخبار النّحويّين البصريّين* ، تحـ. محمّد إبراهيم البنّا، ط 1 ، دار الاعتصام ،1405 هـ -1985م.

27- الصّالح، صبحي، *دراسات في فقه اللُّغة*، ط11، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1986م.

28- الضامن، حاتم صالح، *فقه اللغة* ، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة بغداد، 1411هـ - 1990م.

29- ضيف، د.شوقي، *العصر الجاهليّ*، دار المعارف، مصر، د.ت.

30- ظاظا، حسن، *الساميّون ولغاتهم*، ط2، دار القلم ، دمشق، 1410هـ - 1990م.

31-عبد التّوّاب، رمضان، *فصول في فقه العربيّة*، ط6، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1420هـ- 1999م.

32- عبد اللّطيف، محمّد حماسة، *العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث* ، دار غريب، القاهرة، 2001م.

33- عمايرة، خليل أحمد، *في نحو اللُّغة وتراكيبها "منهج وتطبيق في الدّلالة"*، ط2، مؤسّسة علوم القرآن، دبي . الإمارات، 1410هـ - 1990م.

34-علامة، طلال، *تطوّر النّحو العربيّ في مدرستي البصرة والكوفة* ، ط1، دار الفكر اللّبنانيّ، بيروت - لبنان، 1993.

35-عمر، أحمد مختار، *البحث اللغويّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التأثُّر والتأثير*، ط6، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.

36-الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، *العين*، تحـ. د. عبد الحميد هنداوي، ج4، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1424هـ - 2003م.

37- الكرمليّ، الأب أنستاس ماري، *نشوء اللغة العربيّة ونموّها واكتمالها* ، المطبعة العصريّة، مصر- القاهرة، 1938م.

38- محمّد مايو، عبد القادر، *الوجيز في فقه اللغة العربيّة* ، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط 1، دار القلم العربيّ، حلب، 1419 هـ - 1998م.

39- مكرم، عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النّحو العربيّ، مؤسّسة الوحدة للنّشر والتّوزيع، الكويت، 1977م.

40–مكرم، عبد العال سالم، *القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحويّة* ، د.ط، دار المعارف، مصر– القاهرة، 1384 هـ – 1965 م.

41– هلال، عبد الغفّار حامد، *العربيّة خصائصها وسماتها*، ط4، مجلّة اللسان العربيّ، 1415هـ – 1995م.

42– وافي، علي عبد الواحد*فقه اللُّغة* ، ط1، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، الفجالة – القاهرة، د.ت.

43– ولفِنسون، *تاريخ اللغات السامية*، د.ط، دار القلم، بيروت – لبنان، د.ت.